

المحدث
٥٤



البَّاسِ الْإِسْلَامِيُّ

مجلة إسلامية شهرية جامعية

العدد الثاني

المجلد الرابع والخمسون

١٤٢٩هـ

أكتوبر ٢٠٠٨م

- ما هو العصر إلى إنسان "والعصر"
- حقيقة علا النبى الكريم صلوات الله عليه وسلم في عهده النبوة، واتصاله لها بالعلم، الصابرية
- قيام الليل ومعانى العقيدة في رمضان
- وضح النهج لشرح قصيدة نهج البردة
- أربع الحسنة الحسنة
- البيان القرآني: مفهومه ووسائله
- فن المال حقوق الزكاة

تصدرها : مؤسسة الصحافة والنشر، ص. ب. ٩٣، تكتاو، الهند الهاتف : ٠٥٢٢-٢٧٤١٢٣٥
Albaas-el-Islami, Majlis Sahafat-wa-Nashriyat, P.O.Box 93, Lucknow-226007 U.P. (India)
Tel. : 0091-522-2741235, 2741272 Fax : 0091-522-2741221, 2741231 e-mail : nadwa@sancharnet.in

Fax : 91-522-2741221, 2741231

Monthly
Bimonthly

RNI No.(U.P.)AH/20002341
Regd. No. U.P.-NP/42006 To 2008

(Vol. 54, Issue-1)

AL-BAAS-EL-ISLAMI

إصدارات محدثة

أقلام واعدة في الشعر والقصص

تصدر كل ثلاثة أشهر

رئيس التحرير

الأستاذ الدكتور مدرس عثمانى الندوى

مساعدة التحرير

الدكتورة مهتاب بيرانت

عناوين المراسلات

NEH'S VIOLAS VILA
12-5-45/1/5/A,
FIRST FLOOR
At : Tarnaka Flyover
Secunderabad, 500017
(A.P.) Hyderabad, INDIA
Phone : +91-40-9392430394
+91-40-9440736311

الاشتراك

Printed & Published by ATHAR HUSAIN on behalf of Majlis-e-Sahafat-wa-Nashriyat
(Dept. of Journalism & SAFED AZ-ZAMAN AL-NADWICKNOW, U.P.)

رسى الهند

٢٥/-
ماقل وخمسون روبيه

عن النسخة : ٢٥ روبيه

في عالم العربي

في جميع دول العالم :

٢٥ دولاراً بالبريد العادي

٤٠ دولاراً بالبريد الجوي

المجلة في ملتزم
بكل فكر ينشئ فيما

عنوان المراسلات

ترسل الاشتراكات بالشيك :
باسم : "البعث الإسلامي"
(ALBAAS-EL-ISLAMI)

وذلك بالعنوان التالي

مكتب البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر

ص.ب ٩٣ - لكان (الهند)

ALBAAS-EL-ISLAMI

"MAJLIS-E-SAHAFAT-WA-NASHRIYAT

WA NASHRIYAT

P.O.Box : 93, LUCKNOW
Pin : 226 007 (INDIA)

٤٢٢

العمرى العاصمى !

العمرى العاصمى الذى يأخذ من علوم
الغرب ما تفتقر إليه أمنه وبلاه ، وما ينفع عملياً ،
وما ليس عليه طابع غرب أو شرق ، إنما هى
علوم تجريبية تطبيقية ، وينقض عن كل ما يأخذ
من الغرب غباراً لصق به في الفرون المظلمة ،
وفي عصر الثورة على الدين ، وفي حالة توثر
أعصاب وقلق نفوس ، يأخذ العلوم المقيدة مجردة
من روح الإلحاد والعداء للدين ، ومن النتائج
الخطيرة ، ويطعمها بالإيمان بفاطر الكون ومدبوه ،
ويستنتاج منها نتائج أعظم وأوسع وأعمق وأكثر
سعادة للإنسانية مما توصل إليه أساتذتها
الغربيون .

العمرى العاصمى الذى لا ينظر إلى الغرب
كما زعيم خالد ، وإلى نفسه كمقلد وتلميذ دائم ،
إنما ينظر إلى الغرب كزميل سبق ، وكفرين تفوق
في بعض العلوم المادية والمعاشية ، فيأخذ منه
ما فاته من التجارب ، ويفيض عليه بدوره ما سعد
به من تراث النبوة ، ويعتقد أنه إن كان في حاجة
إلى أن يتعلم من الغرب كثيراً ، فالغرب في حاجة
إلى أن يتعلم منه كثيراً ، وربما كان ما يتعلم
الغرب منه أفضل مما يتعلم هو من الغرب
ويحاول أن ينهج - بذاته وجمعه بين حسنة
الغرب والشرق ، وقوى الروحانية والمادية
منهجاً جديداً يجدر بالغرب تقليده وتقديره
ويضيف إلى المدارس الفكرية ، والمناهج
الحضارية مدرسة جديدة تستحق كل عناية ودراسة
وتقليد واتباع .

هذا هو العمرى العاصمى الذى لا يزال
مفوقاً في صفوف القادة والزعماء في العالم
الإسلامي على كثرةهم وتنوعهم ، وهذا هو العمالق
الذى يبدو في جانبه القادة المقلدون المطبقون
صغرأ متواضعين كالآفراط .
(نماحة العلامة الندوى رحمه الله)

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء و دار العلوم
التابعة لها على مبدأ التوسط
والاعتدال ، والجمع بين القديم
الصالح والجديد النافع ، وبين الدين
الخلد الذي لا يتغير ، والعلم الذي
يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف
أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة
و المنصوص ، و قامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم
الإسلامية علوم حية نامية ، وأن
منهاج الدراسة خاضع لناموس
التغير والتجدد ، فيجب أن يتناوله
الإصلاح والتجديد في كل عصر
ومصر ، وأن يزداد فيه ، ويُحذف منه
بحسب تطورات العصر ، و حاجات
ال المسلمين وأحوالهم .

(أبو الحسن علي الحسني الندوى)

أنشاها :

فقد الدعوة الإسلامية
الأستاذ محمد الحسني
رحمه الله تعالى -
في عام ١٣٧٥ هـ ١٩٥٥ م

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعية

نasseh التحرر

○ سعيد الأعظمي ○
واضح رشيد الندوى ○

المجلد الرابع
والخامسون

العدد الثاني
شوال ١٤٢٩
أكتوبر ٢٠٠٨

الراسلات

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر
ص.ب ٩٣ - لكان (الهند)
الفاكس : ٠٥٢٢-٢٧٤١٢٢١

MAJLIS-E-SAHAFAT-WA-NASHRIYAT

P.O. Box : 93, Taigor Marg, LUCKNOW

Pin : 226 007 U.P (INDIA)

e-mail : nadwa@sancharnet.in

Fax: 0522-2741221/2741231

محتويات العدد

الافتتاحية :

ما أُحوج العصر إلى إنسان والعصر

ليس هذا القسم الرباني بكلمة "العصر" ذا مدلول واحد ، وليس مجرد افتتاح الكلام ، ولكنها يحمل معنى ودلالة واضحة كثيرة تتفق والعقل الإنساني ، الذي خطب بهذا القسم العظيم **﴿وَإِنَّهُ لَقَسْمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾** إنما أقسم الله سبحانه وتعالى بكلمة العصر لتتنبئه العالم البشري إلى ما يعتمد على هذا القسم ، ذاك أن الكلام عن العصر الذي يعيش فيه الإنسان ، لا يخلو من أوهام وتصورات تسبيء إلى حياة الإنسان ، فتؤديه إلى خسارة ، ليست بعدها خسارة ، فكان لا بد من أن يتتبه البشر إلى ما يخسرون في حياتهم من السعادة والهناء والعزوة والكرامة ، الواقع الذي يتسلل بالإنسان إلى حضيض من الذل والتبعية ومن حرم أن ما قدر الله تعالى وأتاحه له من المكانة العالية التي اغتنطت بها الملائكة ، يوم قالوا **﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدَّمَّةَ وَتَحْنُّ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنَّمَا أَعْلَمُ مَا لَتَعْلَمُونَ﴾** (البقرة الآية/ ٣٠) ، ولكن الله سبحانه وتعالى أبى إلا أن يكرمه ويجعله خليفة في الأرض .

إذا كان الإنسان لم يعرف مقدار ما أجازه الله تعالى من نعمة الخلافة وتناسى ما من الله به عليه ، من فتح أبواب الإيمان والعمل الصالح والتوصي بالحق والتوصي بالصبر ، ذكره بذلك في سورة مستقلة من كتابه العزيز وهي سورة العصر **﴿وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّيْرِ﴾** (العصر الآية/ ٢١-٢٣) .

سعيد الأعظمي الندوى

التوجيه الإسلامي :

سعادة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوى

ما أُحوج العصر إلى إنسان والعصر

حملات على النبي الكريم ﷺ في عهد

النبوة واحتمالها لها بالحلم والمصابرة

قيام الليل ومعانى العقيدة في رمضان

طبع الحسنة الحسنة

مذكرات الذوبان

بيان القرآن : مفهومه ووسائله

من البدهيات في القرآن الكريم

لبو بساق الزجاج عالم مشهور مغمور

في المال حق سوى الزكاة

المديح النبوى :

الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد

الأستاذ الدكتور غريب جمعة

....

الأستاذ الدكتور غريب جمعة

باقلام الشباب :

الأخ الأستاذ محمد فرمان الندوى

جولة في مدارس الهند :

زيارة المعهد العالي الإسلامي في حيدر آباد

إلى رحمة الله تعالى :

فضيلة الحاج الحافظ إقبال في ذمة الله تعالى

الشيخ عبد الله أحمد الفراحن (الكويت) في ذمة الله تعالى

الدكتور وصي رحماني في ذمة الله تعالى • رحيل فضيلة الشيخ عبد الله السنديلوى إلى رحمة الله تعالى

الشيخ الحافظ يعقوب في ذمة الله تعالى • الحاج محمد زمان بن خدا بخش في ذمة الله تعالى

والدة السيد كفيل أشرف بجوار رحمة الله تعالى • الأخ فخر الحسن في ذمة الله تعالى

الحاج حافظ مظہر الحق إلى رحمة الله تعالى

والدة الأخ الأستاذ عبد الله الندوى إلى رحمة الله تعالى • الأخ الأستاذ محمد يعقوب في ذمة الله تعالى

٣

١٦

٢٥

٣٣

٤١

٥٢

٦٥

٧٥

٨٧

٩٢

٩٥

٩٦

٩٧

٩٨

٩٩

٩٩

١٠٠

قلم التحرير

قلم التحرير

الحاج محمد زمان بن خدا بخش

الأخ فخر الحسن

الحاج حافظ مظہر الحق

والدة الأخ الأستاذ عبد الله الندوى

هذه السورة المباركة وإن كانت قصيرة المباني قليلة الألفاظ ولكنها في الحقيقة غزيرة المعاني ، كثيرة الدلالات التي تؤمي إلى اتخاذ الأسس المنهجية للحياة الإنسانية الناجحة التي لها دورها العظيم في قيادة العالم البشري إلى طريق العز والسعادة وإنقاذه من جميع المزالق النفسية والخسائر المادية الفادحة التي يواجهها الإنسان على طول الخط ويعاني منها على حساب المكاسب التي يرجوها في حياته ويتمنى أن يتند ذلك إلى جميع الأجيال القادمة والسايرة في مسار الحل والمستقبل ، إلا أن الإنسان دائماً في مواجهة الخسائر التي يحتملها من دون شك ما لم تكن الإيحاءات الإيمانية والمناصحات الاجتماعية رائداً له في التعمق إلى مفاهيم الحياة الإنسانية وأهدافها المتوجة من خلال اللحظات التي يعيشها في هذه الدنيا ، ولا يهدى قيمتها .

وللتوقي من هذه الخسارة المؤكدة ، بيانَ ولام التأكيد ، للإنسان مهما كان ، يوافق على قرار استثنائي يتضمن مواصفة ربانية تشمل الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر .

فالإيمان هو الركيزة الأولى الأساسية التي يقوم عليها صرح الحياة ولكنها لا تشرم الشمار المرجوة منها ما لم يكن العمل الصالح يظلها بظلاله الوارفة ويستوحى منها روح الطاعة والحب والاستسلام في جميع الأوقات والمناسبات ، وينتشل المرء المؤمن من حضيض السفالات والمعاصي والمنكرات ، ويقيمه أمام الله تعالى كعبد خاشع يترقب كل أمر صادر من السلطة العليا لكي يبادر إلى امتثاله والخضوع له بجميع طاقاته وقواه ، وبذلك يدفع الخسارة التي تربص به ، وينخرج من موقع النشاط التي تحول دون وصوله إلى مدارج الإيمان قبل كل شيء ، ذلك الأساس الذي إذا تهدم

لم يبق إلى قيام هيكل الامتثال والطوعية سبيل ، وظللت الخسارة تطارد الإنسان في جميع الأحوال والأزمان وتُدخل في نفسه اليأس عن بناء مستقبل ، مشرق فيعيش في خسر أي خسر مما هو مؤكد في مطلع السورة بالقسم بالواو ، والحرف المشبه بالفعل "إن" ولام التأكيد "لفي خسر" .

من هنا تتمثل الخسائر في صور متعددة وأشكال مختلفة لا تخفي على العالم الخبر ، ومن ثم كان الإيمان و نتيجته من ضرورات الإنسان نحو ربه الكريم ، فكان الإيمان والعمل الصالح كانا حقاً لله سبحانه على عباده ، وكانا مصدر كل خير وسعادة وعزه وكرامة ، وباعثين على أداء حق الله تعالى الذي يعود على عبده المسلم ، ولكن حق الله سبحانه وحده ليس مما تكتمل به الحياة المرضية عند الله تعالى وإنما التواصي بالحق والتواصي بالصبر حق آخر علاقته بالناس والمجتمع ، فكلما نالا سبيلاً إلى التنفيذ الواقعي كان ذلك أداء لحقوق الإنسان ومراعياً لتفسير النصح والخير في المجتمع ، داعياً إلى السعادة والطمأنينة للعيش في الدنيا مزوداً بكل وسائل العلم والأدب والمنهج المقرر للمعاملات والعبادات وفضائل الأخلاق .

فلما كان الإنسان صورة كاملة للخسران والحرمان ، قبل الإيمان والعمل والالتزام بشئون النصح والخير في الحياة والمجتمع ، أنزل الله سبحانه وتعالى تعاليم تتضمن حقوق الله تعالى على عباده ، وتشتمل على ما يتعلق بالعباد وفيما بينهم من التواصي ، وهي خصال أربع تشرح واقع الإنسان في هذه الدنيا ، وتشير إلى مكانته ووظيفته ، وتفسر عمله و مهمته في هذه الحياة ، إنها تبين دوره في بناء الحضارة الإسلامية ، ثم الإنسانية ، وتوضح موقفه من متع الدنيا الفاني وحطامها الزائل ، وتهدى الطريق نحو الاتصال

بالله تعالى وإحسان العمل له ، ثم تنقله من الأفكار الزائفة والنظارات الباطلة التي نشرتها الحركات المادية السافلة والفلسفات الحضارية الكاذبة في المجتمعات الإنسانية ، وحرمتها لذة الإيمان والعقيدة والتوجه إلى ذات الله الواحد والطاعة له ولرسوله ﷺ في جميع الأزمنة والأمكنة شأن العبد الذي يعيش الإشارات الخفية التي تتجلى له في جميع الشئون والأعمال من ربه تبارك وتعالى .

وبذلك يكون الإنسان مثلاً كاملاً للإنسانية والعبودية لله تعالى ، وعليه تتوقف سعادة الإنسان ودوره في الوصاية على العالم البشري ، ومكانته بين المجتمعات الإنسانية التي قلما عرفت قيمة المنهج الإسلامي للحياة الذي استبدل الشقاء بالسعادة والتفرق بالتجمع ، والتمييز العنصري بالأخوة الإنسانية ، وعداوة القبائل والأسر بالحب والألفة والولاء ، والسيئات كلها بالحسنات كلها ، ولقد أعلن الله سبحانه مدوياً مجلجاً في أعز كتابه فقل وهو يتن على الذين نسوا دروس الحب والأخوة **«وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَدْتُمْ مِّنْهَا»** (آل عمران الآية/١٠٣) .

فكان ذلك آية من آيات القدرة الإلهية والحكمة السماوية حيث إن هذه النعمة ليست من عمل إنسان ، إنما هي قدرة قادر ، وصنعة صانع ، لم تكن لفتاته متوجهة إلى جانب دون جانب ، إنما جمع في صناعته بين الجانبيين الإلهي ، والجانب الإنساني ، جمع بين الإيمان بالله ورسوله ﷺ والعمل الصالح الذي ينبع من الإيمان ، وبين التواصي بالحق والتواصي بالصبر في المجتمع ، وتوطيد علاقة الإنسان بالإنسان ، وعلاقة الإنسان بالله تبارك وتعالى ، وذلك ما

منح العالم البشري نوراً عالياً من الإنسان الكامل العامل العادل ، الإنسان الذي يعمر الدنيا بالسيرة الإسلامية العالية ويقدم للعالم قدوة مثلث ترفعه من كل سفالة منكرة إلى مكانة عالية مشرفة وتنعمه من التدني والهبوط إلى مهافي الرذائل والشهوات ، وكل إنسان لا يقر بهذه المنحة الإلهية ويرضى بالعيش كالأنعام ، فليس ذلك إلا كفراناً بنعم الله تعالى لا يساويها جحود وكفران نعمة ، يقول الله تعالى : **«لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ»** (الأعراف الآية/١٧٩) .

إنها الدعائم الأربع لصناعة الإنسان ورفع مستوىه إلى أعلى درجة من الإنسانية وهو على درب الخير وطريق السعادة والقيادة ، وتوجيه النوع البشري إلى ما قد رزقه الله سبحانه له من الكفاءات العالية والمؤهلات القيادية التي يترقبها العالم من خلال التطورات والأحداث الغير الطبيعية التي يواجهها الناس فينة لأخرى ، إن هذا العصر الذي يعتبر عصر الحضارات والمحوارات والمخادعات بين ديانات ونظارات مادية ، وعصر عداوات وحزمات ضد الإسلام ، إن هذا العصر يتطلع إلى من يقوده إلى منصب الخلافة في الأرض ، إنه يترقب ذلك اليوم الذي تعم فيه العالم كله نعمة الأمن والسلم والسلام والسعادة والهناء ، ويتنفس الناس فيه الصعداء .

فما أهوج هذا العصر إلى إنسان "والعصر" .

سعيد الاعظمي الندوى

١٤٢٩/٠٧/٣٠

صلات على النبي الكريم صلى الله عليه وسلم

في عهد النبوة وأحتماله لها بالحلم والصابرية

(الحلقة الثانية والأخيرة) بقلم : سعادة العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوبي

(الرئيس العام لندرة العلماء لكتاب ، المند)

تجارتك ، ولنهلken مالك ، وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرى به (١) . بذلك كله كان رسول الله ﷺ يعاني شدة وعداء وحملات قاسية على شخصيته العظيمة ، ولم يكن يجد راحة من ذلك ، وتنفسيأ لكربته إلا بما ينال من عمه أبي طالب من حماية ، وبما يناله من مؤانسة من زوجته الكريمة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ، وقد استمر له هذا الدعم ، ودامت له الموساة إلى نهاية عشر سنوات على دعوته ، وانقطعت لوفاتها في عام واحد ، فوجد بذلك الجحود أكثر مجافاة من الناس فلاحتاج إلى أن يحصل له شيء من حماية من شخصية ذات نفوذ وتأثير ، ويكون بدليلاً لما فقده من حماية عمه أبي طالب فسافر إلى مدينة طائف التي كانت قرية من مكة وكانت في مستوى بللة مكة في أهمية المكان لعله أن يحصل منها تأييداً وحماية له ليستمر في أداء مسؤوليته الدعوية والدينية ، ولكن لما دعاهم إلى الله فكان ردهم شرد ، واستهزأوا به ، وأغروا به سفهاءهم وعيدهم ، يسبونه ويصيرون به ، ويرجمونه بالحجارة ، فعمد إلى ظل نخلة وهو مكروب ، فجلس فيه ، وكان ما لقيه في الطائف أشد ما لقيه من المشركين ، وقعد له أهل الطائف صفين على طريقه ، فلما مرّ جعلوا لا يرفع رجليه إلا رموها بالحجارة ، حتى أدموه ، وهم تسيل منهمما الدماء ، وفاض قلبه ولسانه بدعاء شكا فيه إلى الله ضعف قوته وقلة حيلته ، وهو انه على الناس ، واستعاد بالله تعالى وبنصره وتأييده .

"اللهم إليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين ! أنت رب المستضعفين ، وأنت ربى ، إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهبني ؟ أم إلى عدو ملكته أمري ؟ ، إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي ، غير أن عافيتك هي أوسع لي ، أعود بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلاح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن تنزل بي غضبك ، أو يحل علي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله " .

(١) السيرة النبوية للشيخ أبي الحسن الندوبي .

وتفنن قريش وقسوا في إيذاء رسول الله ﷺ ، فلم يراعوا فيه إلا ولا ذمة ، وتحطموا حدود الإنسانية ، فكان رسول الله ﷺ ذات يوم ساجداً في المسجد ، وحوله ناس من قريش ، إذ جاء عقبة بن أبي معيط بسلا جزور فقدفه على ظهر رسول الله ﷺ فلم يرفع رأسه ، فجاءت ابنته فاطمة فأخذته من ظهره ، ودعت على من صنع هذا .

وذهب رسول الله ﷺ يقوم بالدعوة إلى الله ، ولم يفت في عضله ما كان يلقاه من الأعداء من عداوة وإهانة وإساءة قاسية ، ولما يئست قريش منه ، صبوا جام غضبهم على من كان أسلم من أبناء وطنهم جميعاً من ليس لهم من ينفعهم .

كان بلال الحبشي - وقد أسلم - يخرج مولاه أمية بن خلف إذا حيت الظهيرة ، فيطرحه على ظهره ، في بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة ، فتووضع على صدره ، ثم يقول له : لا والله لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد ، وتعبد اللات والعزى ، فيقول وهو في ذلك البلاء : أحد أحد .

وكان بنو مخزوم يعذبون عمّار بن ياسر وأباه وأمه برمضان مكة ، فيمرُّ بهم رسول الله ﷺ ويقول لهم : صبراً آل ياسر ! موعدكم الجنة ، فاما أمه فقتلوها ، وهي تأبى إلا الإسلام .

وكان أبو جهل إذا سمع ببرجل قد أسلم : له شرف ومنعة أئب وحزاء ، وقال : تركت دين أبيك وهو خير منك ، لنسفهن حلمك ، ولتفيلن رأيك ، ولنضعن شرفك وإن كان تاجرًا قال : والله لنكسدن

السماوي أنه هو الرسول الموعود لهذا الزمن ، وأنه يجب الإيمان به ، واتباعه ، وقد بشرهم سيدنا عيسى عليه السلام بأنه سيبعث لهذا الناس كما جاء ذكره في سورة الصف في القرآن الكريم فإنهم رغم ذلك ناصبو العداوة مع المسلمين ، وقالوا في مناسبة من المناسبات لمشركي مكة : إن دينهم خير من دين التوحيد الذي جاء به رسول الله ﷺ ، والطرف الثالث هم المنافقون من بين المسلمين أنفسهم ، فإن جمهور قبيلتهم آمنوا وأسلموا فلم تكن مصلحتهم أن يحيدوا عنهم فيحرموا فوائد كثيرة اجتماعية كانت تحصل لهم لنسبتهم إلى قبيلتهم . إنه كان يواجه في مكة المكرمة عداء مخاصميه بصور فردية ، أما هنا فأصبح يواجه حملات أعدائه بصور جماعية ، وهي بشكل حروب كانت تفرض عليه وعلى أتباعه من أعدائه بمكة ومن القبائل الأخرى الموالية لكتاف قريش ، وكذلك مؤامرت خفية من أصحاب الحسد والضغينة من رجال اليهود القاطنين في المدينة ومن شخصيات عربية من أهل المدينة كانوا يشعرون بحرمان من سعادتهم ومقاصدهم في الحياة الدنيوية من ظهور هذا الولاء الديني الشامل من عرب المدينة لرسالته ولزعامتها الدينية ، وبذلك استمرت مواجهته لخصومة مخالفيه ، ولكن تم قبول أهل المدينة لرسالته ، ودخول الناس في الدين الإسلامي أفواجاً ، وذلك لحكمة الرسول ﷺ في عمله للدعوة وصبره على إيذاء الناس ومعاملته الكريمة الشفيفة معهم رغم شلة خصومتهم وعدم الانتقام إلا في مناسبات تفرض فيها عليه حرب ، أو يلجأ إلى رد الفعل والمكر الخفي الذي كان يكاد يقضي على سلامه الإسلام والمسلمين وأمن هذه الجماعة الصالحة الرشيدة .

ولما انتقل الإسلام من مكة إلى المدينة واستقر رسول الله ﷺ وأصحابه فيها ، وبدأ الإسلام ينتشر بسرعة فائقة ، ويزحف ويعلو ، وقام المجتمع الإسلامي بجميع لوازمه ، تبدل الوضع ، وهناك لم يستطع أعداء الإسلام في المدينة إلا اختيار النفاق ، يقول الشيخ أبو الحسن الندوبي : " وكان ظاهرة طبيعية نفسية لا بد منها ، فإنما تظهر بادرة "النفاق" في بيئة تجتمع بين دعوتين متنافستين ، وقيادتين متقابلتين ،

وارسل الله وحيه مع ملك من الملائكة ، وعرض عليه أن ينتقم من هؤلاء المستهزئين الظالمين بإذلال عذاب يهلكهم ، ولكن الرسول الله عليه وسلم قال : إنه يرجو أنهم إن لم يقبلوا دعوته فإن أبناءهم ربما يقبلونها فيما يأتي الزمن وأنه يكتفي بهذا . ورجع رسول الله ﷺ من الطائف إلى مكة بدون تحقيق مطلوبه وصبر على ما أصابه من القسوة والمخالفة ، وقومه أشد ما كانوا عليه من خلاف وعداء وسخرية واستهزاء .

كان ﷺ يواجه شلة وبلاء من معارضيه إلى أن لجأ إلى هجرة وطنه لما بلغ إيذاء أهل مكة إلى مؤامرة قتلها ، وبدأت بذلك مرحلة جديدة لحملات أعدائه عليه وعلى أتباعه وهم في مدينة يثرب ، ولكن مكانته في مدينة يثرب أصبحت أقوى مما كانت عليه بمكة بسبب قبول عامة أهل هذه المدينة لدعوته ، فاستمر في دعوته إلى الحق وإلى الدين الإسلامي حتى أصبح له أصحاب وأنصار في المدينة يستطيع بهم أن يقوم بالدفاع عن نفسه وعن رسالته بصورة جماعية ، وكان هذا طوراً جديداً لمواجهة العداوة والحملات ومخالفة معارضيه .

لقد انتقل الرسول الكريم ﷺ وأصحابه إلى المدينة المنورة وجدوا أنصاراً ومؤيدين ، فأصبحت لهم قوة ، وزاد ذلك في انتشار دعوة الإسلام فيمن حولهم من العرب ، وكانوا ملتزمين في عملهم الدعوي بالنصيحة وإسداء الخير حتى جاءت عداوة أعدائهم بصورة حملات عسكرية ، مروا بذلك من خلال حملات متواترة ، وحروب مفروضة عليهم ، وبدأوا يواجهون شدائداً جديدة ، زيادة إلى ما كان يواجهونه في مكة .

كانت الحملات هنا في المدينة المنورة تنصب على رسول الله ﷺ وعلى دعوته من ثلاثة أطراف ، وهي طرف الكفار العرب وهم أهل مكة ومن كان في نصرتهم من القبائل المجاورة الذين تعنتوا تعتن شيئاً ، وأبوا أن يفهموا الإسلام فهم أهل يهديهم إلى قبوله ، وشنوا غارات على المسلمين في مقر إقامتهم في المدينة ، والطرف الثاني هم اليهود الساكنون في المدينة المنورة ، الذين رغم معرفتهم من كتابهم

حملات على النبي الكريم ﷺ في عهد النبوة

هناك يوجد عنصر مضطرب يتارجح بين هاتين الدعوتين ، ويتردد في إيهامها على أخرى ، وقد ينحاز إلى دعوة ، فيكون في معسكرها ، وإشار إداتها على المادية ، إلا أن مصالحه المادية ، وانتشار الدعوة وبعطيها ولاء وجه العاطفي ، كانت الحملات مستمرة على الرسول ﷺ في عهدي النبوة في مقابلة وانتصارها ، لا يسمح له بإعلان موقفه ، والانضواء إلى الدعوة الأولى ، وقطعه للحبل التي تربطه بيته الأولى وقد صور القرآن هذا الموقف المضطرب تصويراً دقيقاً ، فقال : « وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ أَطْمَأْنَ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِيرًا الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ » (٢) ، وهم الذين وصفهم بقوله : « مُذَبِّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ » (٣) .

فامتلأت قلوب هؤلاء المنافقين غيظاً وحسداً للحب الغامر والولاء الشامل الذي أبداه أهل المدينة لرسول الله ﷺ ، فصاروا يكيدون له ، ويتربصون به الدوائر ، ويقلبون له الأمور ، وتكونت في المدينة جبهة معادية متسلبة في المجتمع الإسلامي ، وكانت هذه الجبهة أشد خطراً على الإسلام والمسلمين من الأعداء المخاهرين ، وكان على رأس هؤلاء المنافقين الذين كانوا من الأوس والخزرج واليهود عبد الله بن أبي بن سلول .

لقد كان احتمال الرسول ﷺ على مكاييد مخالفيه في المدينة احتملاً عجياً بحيث تعجب الناس على احتماله الذي اختاره لشأن كبير المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول الذي كان يبني إسلامه واتباعه للرسول ﷺ ظاهراً ويخفي مكره وكيله ضد الرسول ﷺ ، ولكن الرسول ﷺ لم يحسب لكره ولم يعاقبه على الكيد الذي انكشف له وعلى ما ظهره منه ومن أصدقائه من قريش ، من مكاييد ومؤامرات ، وكان ذلك بمحنة ما يعانيه من مخالفيه من اليهود الذين كان اتصالهم بهؤلاء المنافقين وقاموا بمخالف الوعد الذي كان قد وقع الاتفاق عليه بين المسلمين واليهود إثر وصول الرسول إلى المدينة ، بل إن هؤلاء

(٢) الحج : ١١ .

(٣) النساء : ١٤٣ .

اليهود كانوا يساعدون كفار مكة على حروبهم ضد المسلمين ، وقاموا بمؤامرات مختلفة بأساليب شتى لعرقلة الدعوة الإسلامية ، بل للقضاء على صاحبها بكل ما أمكنهم من رجل وخيل .

كانت الحملات مستمرة على الرسول ﷺ في عهدي النبوة في مكة والمدينة اللذين استغرقا ثلاثة وعشرين سنة ، وواجهها الرسول ﷺ والمسلمون بكف أيديهم والصبر في مرحلة تواجههم في مكة وبرد كيد الأعداء ومقاومة المخاربين بالقوة في المدينة .

فقد شنت قريش والقبائل الموالية أو المتأمرة معها حروباً إثر حروب في عهد إقامتهم في المدينة ، ضد المسلمين ، فقد سافروا بجيوشهم لشن الغارة عليهم في موقعة بدر ، بين مكة والمدينة ، ثم في موقعة جبل أحد في المدينة المنورة في حملتهم في حرب الأحزاب ، واستمر ذلك وانهزموا في جميع هذه الحملات ، وأصبحت كلمة الله هي العليا وكلمة الكفر هي السفل .

وقضى بذلك رسول الله ﷺ حياته الدعوية كلها في مواجهة هذه الحملات ، ولكن بكل صبر واحتلال ، فأثبت بذلك مثلاً رائعاً لاحتمال العدواوات مع المحافظة على طلب الخير للجميع ، والسعى لهدایة الناس إلى المدى ، وفضائل الإنسانية ، والبر والإحسان ، صلى الله تعالى عليه صلوات طيبات ، وجزاه عن أمته أكرم الجزاء .

وإن السمة الغالبة لسيرة الرسول ﷺ الصبر والتسامح والعطف والصفح والرحمة وإسداء المعروف والإحسان وحب الخير والسلوك الحسن حتى مع ألد الأعداء بدلاً من الانتقام على الظلم والاعتداء الذي كان يواجهه من معارضيه ، ومن أمثلة ذلك عفوه عن أهل الطائف بعد ما رموه بالحجارة وأدموه ، وكذلك عند دخوله في مكة فاتحاً منتصراً وبين يديه الظاللون الذين آذوه أشد الآني ، حتى

النار في اليهود وهم أحياء في هيكلهم" (٤) .
وفي حروب أخرى نشب بين أبناء الدول الأوربية المسيحية بعضها مع بعض فإنما قتلت آلاف الملايين ، واستمرت بعض هذه الحروب سنين طوالاً ، فكلها في سبيل توسيع المساحة الحكومية وفرض السيطرة من بعضها على بعض ، وبكل همجية وعنف ، وبعد ذلك يجوز لأي عضو من أعضاء هذه البلدان أن يصف المسلمين بالعنف والإرهاب ، ألا يستحقون ؟

(٤) رجل الفكر والدعوة في الإسلام ، للشيخ الندوى .

المراجع :

(١) السيرة النبوية المسمة بعيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير / محمد بن عبد الله بن يحيى ابن سيد الناس ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان .

(٢) سيرة النبي ﷺ / ابن هشام ، دار الهداية ، القاهرة .

(٣) زاد المعد في هدي خير العباد / ابن قيم الجوزية ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، مكتبة المنار الإسلامية .

(٤) السيرة النبوية / الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوى .

(٥) رجل الفكر والدعوة في الإسلام / الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوى .

(٦) دراسات في السيرة / الدكتور عماد الدين خليل ، مؤسسة الرسالة .

(٧) حياة محمد / محمد حسين هيكل ، مؤسسة الرسالة .

(٨) سيرة ابن إسحاق المسمة بكتاب المبتدأ والمبعث والمغازي ، تحقيق وتعليق : محمد حميد الله دار النفائس ، لاهور - باكستان ، ١٤٢٦هـ .

تأمروا على قتله ، فنجا منهم بالخروج من وطنه ، فعند ما حضروا أماته وكان يستطيع أن يضرب عناقهم ، قال لهم : اذهبوا فأنتم الطلقاء ، ثم أعطاهم عطايا كبيرة عندما سمح لهم توزيع العطاء بين أصحابه ، فكل من يطالع السيرة النبوية يصادف هذه السمة الغالبة جلية واضحة في جميع المواقف والأحوال ، واعترف بذلك المنصفون من المؤرخين وأصحاب الأقلام الغربيين في دراستهم وكتبهم ، فليس من العدل أن يتهم النبي محمد ﷺ بالعنف والإرهاب ، إذ أنه أنفذ الإنسانية من الملاك والدمار وتعامل مع الجميع بكل سماحة ، وأنقذ الإسلام النصرانية الشرقية من الإبادة الرومانية ، كما اعترفت الباحثة الألمانية د / زيجريد هونكه ، ويعقوب نخلة روفيله (١٤٧ - ١٩٠٥م) صاحب كتاب "تاريخ الأمة القبطية" .

ومن أكبر شهادة على حبه ﷺ للخير والأمن ، و اختياره للسلم والرحمة وتجنبه العنف والشدة في أقسى الأحوال ، أنه لم يجاوز عدد المقتولين خلال الحروب التي وقعت بين جنود المسلمين وبين أعدائهم في العهد النبوي الكريم كاملاً من ٩١٨ شخصاً موزعين نصفاً إلى نصف بين المسلمين وأعدائهم ، فإن هذا العدد لضحايا الحروب التي اشترك فيها النبي طليباً لسعادة البشرية ونشر الأمن والسلام في الناس ضئيل للغاية بالنسبة إلى ضحايا الحرب العالمية الأولى التي قامت بها الدول الأوروبية فيما بينها لتحقيق أغراضها المادية ، قد بلغ عدد ضحايا هذه الحرب أكثر من سبعين مليون شخص ، وقد كتب المؤرخ الإنجليزي لين بول وهو يصور الغارة الصليبية على القدس ، يقول : " حينما دخل الغزاة الصليبيون في القدس مارسوا مجازر وحشية وعاثوا في الأرض المقدسة مفسدين ، وسالت الدماء أنهاراً ، غاصت فيها الخيول إلى الركب ، وقدرت الأطفال من فوق السقف ، وأضرمت

وقال الخطابي رحمه الله : احتساباً أي عزيمة وهو أن يصوم رمضان على معنى الرغبة في ثوابه طيبة نفسه في ذلك غير مستقل لصيامه ولا مستطيل لأيامه .

وتحريم ذلك أيضاً لقيام ليل رمضان ولا مستقل أيضاً لقيام ليلة القدر ، فهو إن صحت نيته وصح عقله وعزمته بأنه يصوم رمضان إيماناً بفرضه الله له واحتساباً للأجر والثواب من الله أرجو من أن يتحقق ما وعلمه على لسان رسول الله ﷺ بأن يغفر له ما تقدم من ذنبه ، كذلك من قام رمضان أو قام ليلة القدر إيماناً بفضل قيامها وإيماناً بفضل قيام رمضان واحتساباً بأجر القيام والصلوة والدعاة والسجود والقنوت والركوع والاستغفار على الله عز وجل أن يتقبله منه ويشهيه عليه ، كان ذلك بإذن الله مضنة ويرجو منه أن يتحقق له مغفرة الذنب لما تقدم وهذا الذنب الذي يغفر مقيداً بإنجذاب الكبائر أي أنه الذنب الصغير .

• والفرق بين الصغيرة والكبيرة ما فسره العلماء رحهم الله من أن الكبيرة هي : كل ذنب رتب الله عليه حداً في الدنيا أو وعيده بالنار أو بالغضب من الله أو باللعنة أو نفي عن صاحبها الإيمان أو تبرئ من الإيمان ، والكبيرة بهذا القيد جamente لذنوب كبيرة فما رتب الله عليه حداً في الدنيا كالسرقة فهي كبيرة أو ما توعده عليها بالنار كإطالة الإزار خيلاً أو غير خيلاً لعموم قول النبي ﷺ : (ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار) أو رتب عليها الغضب كما في الملاعنة إذا كذباً **(والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين)** (النور الآية ٩) وهذه الملاعنة استحقت غضب الله عليها إن كانت كاذبة في ملاعنتها لزوجها ، وما رتب الله عليها اللعنة يوم القيمة لعنة الراشي والمرتشي ، ولعنة شارب الخمر ، ولعنة الزاني ، وغير ذلك من الملعونين ، وما رتب من نفي الإيمان كقوله ﷺ : (والله لا يؤمن والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن قالوا : من يارسول الله ؟ قال : من لا يؤمن جاره بوائقه) آخر جرمه الشیخان في الصحيحين ، وما رتب عليه من الذنوب التبرئ منه كقوله عليه الصلاة والسلام (من غش قليس منا) وهذه الذنوب وما كان على قيدها بأن رتب الله عليها الحد فيها

قيام الليل ومعاني العقيدة في رمضان

بقلم : الدكتور الشيخ علي بن عبد العزيز الشبل
(جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض)

الحمد لله رب العالمين ، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كانا لناهتدى لولا أن هدانا الله ، لقد جاءت رسالتنا بالحق ، وصلاة وسلماماً على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد .

فإن من معاني العقيدة في الصوم في حديث خرجه الشيخان في صحيحهما من طريق أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : (من قام ليلة القدر إيماناً واحتسباً غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن صام رمضان إيماناً واحتسباً غفر له ما تقدم من ذنبه) حديث عظيم دل على فضل الصيام ، وفضل قيام ليلة القدر ورد في لفظ آخر أيضاً من هذا الحديث (ومن قام رمضان إيماناً واحتسباً غفر له ما تقدم من ذنبه) ولقد أورد الحافظ ابن حجر في شرحه على البخاري المسمى بفتح الباري أورد روايات وأحاديث وطرقها زيادة (غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر) وحسن إسنادها عند الإمام أحمد وعند غيره ، فهذا الوعد الكريم وهذا الثواب العظيم يستحقه من قام ليلة القدر أو صام رمضان أو قامه ، وإذا حقق ذلك بشرطين :

أن يكون قيامه لرمضان وليلة القدر وصيامه لرمضان إيماناً واحتساباً بهذه الشرطين يستحق ما رتبه ﷺ على ذلك من الثواب العظيم ، وهو مغفرة ما تقدم من ذنبه ، وعلى زيادة أخرى : مغفرة ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، مما معنى الإيمان والاحتساب في هذا الحديث : المراد بالإيمان هو اعتقاده بحق فرضية صوم رمضان على هذا الشخص بأن الله سبحانه وتعالى افترضه عليه أي افترض صيامه عليه وبأن الله سبحانه وتعالى قد شرع له قيام رمضان واحتسب طلب الثواب والأجر على هذا الصيام والقيام من عز وجل لا من أحد غيره ،

أو الوعيد يوم القيمة باللعنة أو الغضب أو بالنفي الإيمان أو التبرئ منه، هي كبائر الذنوب وتكون الصغار كل ذنب لم يرتب الله عليه حدا في الدنيا أو اللعنة يوم القيمة أو النار أو الغضب أو نفي الإيمان أو التبرئ منه، هذا القيد بالذنب بهذا يكون عليه قوله قبول الله عز وجل في سورة النساء: **«إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلُكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا»** (النساء الآية/٣٦) فلا يستحق هذا الوعد الكريم بأن يكفر الله عنه سيئاته ويدخله المدخل الكريم وهو جنانه التي أعد لها الله لأوليائه وأصفيائه والمؤمنين به إلا من حرق الشرط الأول باجتناب الكبائر وبدل عليه ما ثبت عن النبي عليه السلام أنه قال: (العمرة إلى العمرة والحج إلى الحج ورمضان إلى رمضان والجمعة إلى الجمعة مكفرات لما بينهن إذ اجتنبت الكبائر) فإذا اجتنبت الكبيرة وهي ما سبق قيدها وشرطها ومثلها كان من صام رمضان إيماناً واحتساباً أو قام رمضان إيماناً واحتساباً أو قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً موعد بأن يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وما تقدم من ذنبه على الروايات في الصحيحين، وهذا أيها الإنحصار فضل عظيم ينبغي للإنسان أن لا يفوته عليه وأن لا يرجئي حظ نفسه منه.

ومما جاء من معانى العقيدة في الصوم، حديث أبي هريرة **«فَلَمَّا** وهو في الصحيحين قل قل رسول الله **«فَلَمَّا** قل الله عز وجل وهذا حديث قدسي يرويه نبينا عليه السلام عن ربه قل الله عز وجل (كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به ، والصيام جنة ، وإذا كان صيام يوم أحدكم فلا يرث ولا يصخب وإذا شاته أحد فليقل اللهم إني صائم والذى نفس محمد بيده خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، للصائم فرحتان يفرح بهما إذا أفطر فرح وإذا لقي ربه فرح بصومه) والشاهد على معنى العقيدة هنا إذا أن للصائم فرحتين إذ أفطر فرح بإتمام العبادة و إذ ما أعاذه الله عليها حيث إنه إنما فرح لأنه أتم صومه وختم عبادته بالفطر الذي أمره الله به وتحفيف ربه عليه بأن جعل فطره عنده غروب الشمس ، وفرح بنعمته الله عليه وسخر له إفطاراً وسخر له نعمه يفطر بها بعد أن حرم بالإمساك عنها ، كل ذلك يفعله مثلاً لأمر ربه ، وفرحته الثانية وسعده وهي فرحته

بلقاء ربه قال **«إِنَّمَا** : (إذا لقي ربه فرح بصومه) أي فرح بشواب صومه لأن الله سبحانه وتعالى رتب على الصوم الأجر العظيم لا ترون أنه قال ربنا عز وجل : (الصوم لي وأنا أجزي به) ، وقال : (كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به) لأن الصائم صابر على طاعته والله والصابرون هم الصائمون في أكثر أقوال العلماء بقوله تعالى : **«إِنَّمَا يُؤْفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ يَغْيِرُ حِسَابَهُمْ**

(الزمر الآية/١٠) لأن الصوم هو صبر والصائم يصبر نفسه عن الشهوات ، ويصبرها عن اللذات من الطعام وشراب وجماع ، ويفعل لذلك لأن الله أصبره ولأن الله سبحانه وتعالى تصبره لذلك ينتفعه ، ويكون في ذلك تحخيص له فإنه إذ تاب واستجاب وتعبد الله استحق يوم القيمة أن يجازيه الله بفرح ، وأعظم الفرح وأكمل السرور هي رؤية الله عز وجل في الدار الآخرة في جنان النعيم كما قال الله عز وجل في سورة القيمة : **«وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**

(القيمة الآية/٢٢-٢٣) وهذه الوجوه كلها حسن وبهاء ، بسبب أنها نظرت إلى الله عز وجل ، إذ النظر إلى وجه الله في الجnan أكمل نعيم ، وهو رؤية أهل الجنة يقول الله عز وجل في سورة ق : **«لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مِزِيدٌ**

(ق الآية/٣٥)

وفي سورة يونس : **«لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةً**

(يونس الآية/٢٦) والمزيد والزيادة هي رؤية الله عز وجل في الدار الآخرة ، ويوم المزيد هو يوم الجمعة اليوم الذي يجمع فيه أهل الجنة ويلقون الله عز وجل يتنعمون ويتلذذون برؤية فلا يرجعون بشيء إلى أهليهم وإلى الحور العين اللائي هن في قصورهن بأكمل من رؤية الله عز وجل ، نسأل الله عز وجل باسمه الحسنى وصفاته العليا والإيمان به وبطاعة رسوله وبالثبات على عقيدتنا له بهذه الأعمال وهذه المعتقدات أن يجعلنا من يتلذذون برؤية عز وجل ويجعلنا من عباده الذين يفرجون بهذه العبادة عند إفطارهم وعند لقاء ربهم يوم القيمة وأن لا يحرمنا ثوابه وأجره وأن لا يجعل حظنا من رمضان وحظنا من صيامه النصب والتعب ولا حظنا من قيامه النصب والتعب وأن يجعلنا أعمالنا مقبولة وأن يتقبلنا من عباده الصالحين أنه ولـي ذلك ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجید .

اتبع الحسنة الحسنة

بقلم : الأستاذ الدكتور محمد بن سعد الشويعر
(رئيس تحرير مجلة "البحث الإسلامي" - الرئيس)

جاء في الحديث ، الذي طلب فيه أحد الصحابة ، أن يوصيه رسول الله بعمل نافع ، في دنياه وأخره ، بأن "يتبع السيدة الحسنة تمهاها" ، أي أن العمل الطيب ، الذي ينفع صاحبه ، هو الصالح الصادق ، فيقبله الله ، ويحيو به السينات ، وهذا من فضل الله على عباده ، ومن يسر الإسلام ، ورحمة الله بعباده ، فيعملون قليلاً ، بصدق وإخلاص ، ويؤجرون كثيراً بالحسنات ، وغفران السينات .

وإن من رحمة الله ، أن تتوالى مواسم الحيرات ، على المؤمنين ، ولا يضيعون هذه الفرصة ، فبالأمس استبشر المسلمون ، وعيونهم تتطلع في الأفق ، بحثاً عن مطلع الشهر ، الذي يعلن دخول شهر الخير والبركات ، شهر الفضائل والنفحات ، ليواكبوا بالإستجابة ، فرحين مستجيين ، لأن شهر يعطي ولا يأخذ ، شهر خصه الله تعالى بين شهور السنة بنفحات وخيرات ، وفضائل .

وأمرهم رسول الله ﷺ: أن يروا ربهم ، في الشهر خيراً، بالسابقة إلى الطاعات والعبادات ، صوماً وصدقة ، وصلاة وعمره ، لمن يسر الله عليه الجيء إلى مكة ، حيث رغب في ذلك رسول الله ﷺ ، وأن العمرة في هذا الشهر الفضيل ، تعذر حجة ، وأن يشغلوا أوقاتهم بقراءة القرآن الكريم ، وتذكرة معانيه .

وقد فهم سلفنا الصالح - رحمهم الله - مكانة رمضان ، وفضل العبادات فكانوا يستشرفون مجئه ، فيدعون الله ستة شهور بأن يبلغهم رمضان ، ثم يتأنسون عليه ، إذا تصرمت أيامه ، ويحزنون لفراق أيامه

وليالي المؤنسة ، أيامه بالصيام ، وإطماء الفم ، وتجويع البطن ، وترك الشهوات ، من أجل الله سبحانه ، وتحملاً بقناعة وصبر ، طمعاً فيما أعده الله للصائمين الملبين نداء خالقهم .

وليالي بآنس العبادة ، والقيام فيها : صلاة وتلاوة للقرآن الكريم .. فلذلك يحزنون على فراق هذا الأنبياء ، فيدعون الله : أن يتقبل منهم شهر رمضان ، ستة شهور أخرى .. لأن من آنس بشيء أحبه .

وهم مع هذا الدعاء بعد الفراق ثم الدعاء عند الرغبة في إدراك هذا الشهر ، طعمًا في حسناته وما أفاء الله فيه على عباده الصادقين في نياتهم ، المحتذين لسنة نبيهم ﷺ ، وسلفهم الصالح .

فكانوا يتبعون حسنتات رمضان ، بحسنات أخرى أنسوا بعملها في رمضان ، وألفتها قلوبهم ، وتحببوا إليها في عملهم طوال الشهر ، راجين من الله ، أن يتقبل منهم السالف ، وطامعين في الله الإعانة في الله ، حيث لا يرغبون الميل عن الخير الذي ، تلذذوا في هذا الشهر المبارك به .

فيجدون من الفرص التالية لرمضان ، ما يطمئنون فيه الأجر ، في مثل أعمال تلي رمضان مثل :

- فضائل ذكر الله ، والتسبيح والتحميد والتكبير ، في ليلة الفطر "العيد" وصبيحه ، عند الخروج لمسجد العيد مبرزين الزينة والفرحة في يوم فطرتهم حيث نهاهم رسول الله ﷺ عن صوم ذلك اليوم حتى يأكلوا ويسربوا ، ويدركوا الله ، مسبحين مهلهلين ، متبعين ستة نبيهم الكريم في ذلك ، ومتعاطفين فيما بيدهم : السلام والتحايا ، متسمحين فيما بينهم ، عن الاهفوارات ، التي حرکها أعداؤهم ، وأعداء دينهم أن يزيدوها اشتغالاً بعد نهاية رمضان ، وبعد فك قيود المردة التي حصلت

مع أول يوم من رمضان . ولكن من وفقه الله ، يحرص بعد رمضان ، على إغاثة عدو

الله ابليس ، باتباع حسنات رمضان ، وما فيه من العبادات والطاعات ،

وفي رواية : رغم أنف ، بدل تعس ، والله أعلم .

إن رمضان مدرسة ، بأعماله ورغبة النفوس للعمل فيه بالعبادات ، والإستجابة للتباري في الطاعات ، تهذيب مع العمل فيه ، قراءةً للقرآن ، وتلذذاً بالصيام ، وحباً في الخير ، وتصافياً في النفوس ، وبعدًا عن الحزازات والتbagض والشحنة ، وتفقدًا للفقير والحتاج ، ومسحة لدمعة يتيم ، وغير هذا من الأعمل الخيرة .

كل هذه حسنات إذا أريد بها وجه الله ، والإستجابة لشرعه الذي شرع لعباده ، إذا تكنت من القلوب ، ونرجو أن يكون إخواننا المسلمين في كل مكان من المنتفعين بما يدر منهم من استجابة في رمضان ، ليتبعوا هذه الأعمل ، وما يليها من مناسبات الحج ، وأعمل في عشر ذي الحجة وغيرها ، مقبولة عند الله ، إن شاء الله ليزداد رصيدهم : حسنات بعد الحسنات ، حتى تتوطن نفوسهم على عمل الخير ومحبته .

هشام واحد صنائعه :

كان هشام ابن عبد الرحمن الداخل ، قاعداً لراحة في علية على النهر ، في حياة والله ، فنظر إلى رجل كنانى من قدماء صنائعه ، من أهل جيان ، قد أقبل يسرع السير في الهجرة ، فأنكر ذلك ، وقدر شرأً وقع به ، من قبل أخيه - إيمان وكمان - وعلياً على جيان ، فأمر بادخاله عليه ، فقال : ما وراءك يا كنانى ، فلامر ما قدمت ، وما أحسبك إلا مزعجاً لشيء دهمك ؟ فقال : نعم يا سيدي ، قتل رجل من قومي

أكتوبر ٢٠٠٨

٢٣/٢٢

١٤٢٩ هـ ٥٤ جـ

مع شهر شوال الذي هو أول أشهر الحج .

بحسنات أخرى ، مع شهر شوال الذي هو أول شهر الحج .

- ومن ذلك بصيام ستة أيام من شوال ، حيث ورد في الحديث

بيان : "من صام رمضان وأتبّعه ستة أيام من شوال .. فكأنما صام الدهر كله ..

يعني أن فضل الله ، الذي يسبقه على عباده ، ويسهل عليهم القيام به ، يأتي أجره وخيره ، بعملية حسابية لأن الحسنة تضاعف إلى عشر أمثالها ،

فضيام رمضان شهر عشرة شهور ، وستة أيام من شوال بستين يوماً .

يعني أن فضل الله ورحمته بعباده ، كمل لهم هذا الأجر ،

بالتضاعفة ، لتصبح سنة كاملة : ستين يوماً عن شهرين ، وشهراً بعشرة

أشهر ... ذلك فضل الله يؤتى به من يشاء ، لمن صبر واحتسب ، وأراد

بعمله وجه الله ، لأن الله غنى عن الشركاء ... فعلى المرء أن يخلص

عمله لله ، ولا يرائي به الناس ، حتى يكون مقبولاً ، جاء في الحديث

القدسي ، عن الله سبحانه : "أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل

عملأً ، أشرك معي فيه غيري ، تركته وشركه" .

ولذا يقول علماؤنا رحمهم الله : الخاسر من لم يقبل في شهر

رمضان ، ومن لم ينتفع بدروس رمضان ، لتكون حاله بعد خروج

رمضان غير مستجيبة ، وغير متابعة للحسنات بالحسنات ، آخذين

بالدلالة أنه قد أورد نفسه ، إلى طريق الهالك ، إن لم يتدارك نفسه ، قبل

فوات الأوان .

ولعلهم آخذون هذه المعاني من حديث رسول الله ﷺ ، وهو يصعد درجات المنبر ، وكلما أرتقى واحدة قال : أمين ، قالها ثلاثة .

ولما سئل عن ذلك ، قال : إن جبريل عليه السلام ، قال لي : يا

أكتوبر ٢٠٠٨

٢٢/٢٢

١٤٢٩ هـ ٥٤ جـ

مكفرات الذنب

(الحلقة الأولى)

بتقديم: سعادة الشيخ الأستاذ إبراهيم بن عبد الله المزروعي
أبو ظبي - دولة الإمارات العربية المتحدة

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على خاتم النبيين،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده
ورسوله، وبعد.

► فإن العبد لا يخلو من معصية، فلا يسلم من هذا النقص
أحد من بني آدم، والمعصوم من عصمه الله ففي الحديث الصحيح (كل بني
آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون) حم. ت. هـ. صحيح الجامع (٤٥١٥).

► وإنما يتفاوت البشر في المقادير، ومن تفقد نفسه وجدها
مشحونة بهذا النقص، فإذا وفق انبعث منه خوف فرجع فارا إلى الله
تعالى يطلب النجاة من عقوبات الذنب، وعلم أن له رب يغفر
الذنب، فتاب وأناب، قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه قال الله
تعالى (من علم أني ذو قدرة على مغفرة الذنب غفرت له ولا أبالي
ما لم يشرك بي شيئاً) رواه الطبراني والحاكم وهو في صحيح الجامع (٤٣٠)، فإذا
رجع العبد إلى ربها عزوجل وجد باب مكفرات الذنب مفتوحاً على
مصلحته مكتوباً عليه «**قُلْ يَا عِبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا
تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ**» (الزمر الآية/٥٣).

► وتکفير الذنب على ضربين، الأول الخو، كما في حديث
(واتبع السيدة الحسنة تحتها) حم. د. ت. صحيح الجامع (٩٧)، والثاني:
التبديل، كما في قوله تعالى «**فَأَوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتِ**
(الفرقان الآية/٧٠) وهذا النوع فيه زيادة إحسان وتفضل بعد التوبة
والإيمان والعمل الصالح.

رجلاً خطأ، فقصدني أخوه بالاعتداء، إذ عرف مكانني منك.
فمد هشام يده إلى جاربته كانت وراء الستر، وقطع قلاة
كانت في نحرها، قال له: دونك هذا العقد يا كناني، وشراؤه علي
ثلاثة آلاف دينار فلا تخذعن، وبعه وأد عن نفسك وعن قومك، ولا
تمكن الرجل من اهتضامك.

فقال: يا سيدي لم آتك متراجداً، ولا يضيق المال، عمًا حملته،
ولكني قصدت بظلم صراح، أحببت أن يظهر عز نصرك، وأثر ذبك
وامتعاضك، فأتملاجد بذمتك لي، فقال: أمسك العقد، وركب من
حيثه، إلى والله الداخل، واستأند عليه في وقت أنكره، فانزعج وقال:

ما أتى بأبي الوليد، في هذا الوقت، إلا أمر مقلق، أئذ نواله.
فلما دخل سلم عليه، ومثل قائماً بين يديه، قال له: اجلس
يا هشام: فقال: أصلاح الله سيدي الأمير، وكيف جلوسي بهم، وذل
مزعج، وحق لمن قام مقامي ألا يجلس إلا مطمئناً، ولن يقعدني إلا
طيب نفسي، بإسعاف الأمير لحلجي، وإلا رجعت على عقيبي، فقال
له: حاش من انقلابك خائباً، فاقعد مجاباً مشفعاً.

فجلس فقال أبوه له: فما الحدث المتعلق؟ فأعلمه، فأمر بحمل
الديمة عنه، وعن عشيرته من بيت المال، فسر هشام وأطنب في الشكر
، وكتب الأمير إلى ولده سليمان، في ترك التعرض لهذا الكناني.

ولما دخل الكناني لوداع هشام، قال له: يا سيدي لقد تجاوزت
بك حد الأمانة، وبلغت غاية النصر، وقد أغنى الله عن العقد المبدول،
فنعيله لصاحبته، فأبى ذلك، وقال: لا سبيل إلى رجوعه إلينا.
(نفح الطيب: ١: ١٥٧)

إذاً للذنوب والآثام مكفرات أشار إليها أهل العلم مستدلين بما ورد من نصوص الكتاب والسنة، وقبل ذكر أقوالهم وسرد مكفرات الذنوب مع أدلةها، سنشير إلى الحكمة من خلق الذنوب. فما هي الحكمة والمصالح من خلق المعاصي والذنوب وتقديرها على العباد؟ لا بد أولاً أن نؤمن ونصلق بما أخبرنا الله به في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ من أن المعاصي والذنوب تقع كما تقع الطاعات بقدر الله تعالى **«ومَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ»** فأفعال العباد مقدرة، والعبد هو الذي يختار طريق الخير أو طريق الشر **«وَمَا رَبُّكَ يَظْلَمُ لِلْعَبِيدِ»** **«فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ»** (الروم الآية/٩) فالله عز وجل هو الحكيم العيم، وكل أمر قدره أو شرعه أو أمر به أو شاء فهو لحكمة بالغة ومصلحة عظيمة قد يعلمها العبد وقد يجهلها **«وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ»** (البقرة الآية/٢١٦).

ومن الحكم والمصالح العظيمة لتقدير الذنوب على العباد :

أ - إن مجاهدة المعاصي والذنوب من أعظم ما يقوى خوف العبد وذله لربه الذي ابتلاه بالشهوات، فإذا وقع العبد في الذنب لجأ إلى الله تعالى واستعان به وخاف من عقابه، فإذا لم يقع في الذنب ينتفي شعوره بالنذل والخوف لعدم وجود التقصير في حق الله، وسيشعر بالأمن من مكر الله **«فَلَا يَأْمُنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ»** (الأعراف الآية/٩٩)، فلا بد من الوقوع في الذنب والتقصير حتى يشعر العبد بالخوف والنذل لله دائماً، ولذلك قال رسول الله ﷺ (والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم) رواه مسلم (٤/٢١٠٦).

ب - ومن المصالح لتقدير الذنوب : تحقيق صفات الرب تبارك الله تبارك وتعالى ، وهي الرحمة والعفو والمغفرة ، ولو لم تكن الذنوب لم

ي肯 هنا عفو ولا غفران ، والحكم والمصالح كثيرة لتقدير الذنوب .
 ► وأما عن مكفرات الذنوب فقد تكلم فيها أهل العلم وقسموها حسب ما وردت في النصوص وأفضل من جمعها إجمالاً حسب علمي هو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، حيث قال (المؤمن إذا فعل سيئة فإن عقوبتها تندفع عنه بعشرة أسباب :
 ١ - أن يتوب فيتوب الله عليه ، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له .
 ٢ - أو يستغفر فيغفر له .
 ٣ - أو يعمل حسنات تمحوها فإن الحسنات يذهبن السيئات .
 ٤ - أو يدعوه إخوانه المؤمنون ويستغفرون له حياً وميتاً .
 ٥ - أو يهدون له من ثواب أعمالهم ما ينفعه الله به .
 ٦ - أو يشفع فيه نبيه ﷺ .
 ٧ - أو يبتليه الله تعالى في الدنيا بمصائب تکفر عنه .
 ٨ - أو يبتليه الله تعالى في البرزخ بالصعقنة فيکفر بها عنه .
 ٩ - أو يبتليه في عرصات القيمة من أهواها بما يکفر عنه .
 ١٠ - أو يرحمه أرحم الراحمين .

قال : فمن أخطئاته هذه العشر فلا يلومن إلا نفسه ، كما قال الله تعالى فيما يروي عنه رسول الله ﷺ (يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أو فيكم بها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه) رواه مسلم (٢٥٧) الفتاوى (١٠/٣٥-٤٦).
 ► وقد ذكر الشيخ أبو إسحاق الجوياني هذه المكفرات بترتيب آخر حيث قال (مكفرات الذنوب عشر منها أربعة يبتدىئها الله عز وجل إبتداء وهي المصائب المكفرة في الدنيا وفي البرزخ وفي القيمة ثم مغفرة الله تبارك وتعالى ورحمته للعبد وثلاثة من العبد وهي التوبة والاستغفار والحسنات الملحية ، وثلاثة من الناس وهي دعاء المؤمنين له وإهداؤهم العمل الصالح له على قول وشفاعة النبي ﷺ).

ذنبه وما لا يعلم ، ولذلك كان من دعائه ﴿اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، وما أنت أعلم به مني ، أنت إلهي لا إله إلا أنت﴾ متفق عليه فتح (١١/١٩٦) مسلم (٢٧٦٩).

* والتوبة تكون من ترك الواجبات وال媿ورات وتكون من الصغار والكبار معا ، وتكون بالتحلل من حقوق الأدرين أو أداء تلك الحقوق إليهم ، وفي ذلك يقول ﴿من كان لأخيه عنده مظلمة من مل أو عرض ، فليتحلله اليوم قبل أن لا يكون دينار أو درهم إلا الحسنات والسيئات﴾ رواه البخاري وغيره ، فالنوبة من أهم مكرفات الذنب بالأيات السابقة ، و الحديث (التائب من الذنب كمن لا ذنب له) ابن ماجة وهو في صحيح الجامع (٣٠٨).

٣- الاستغفار : **فَإِنْ مَنْ اسْتَغْفِرَ اللَّهَ تَعَالَى غُفُرَ لَهُ :** قل الله تعالى **﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَارًا﴾** (نوح الآية/١٠) وقل الله تعالى في الحديث القدسي (يا عبادي ، إنكم تخطئون بالليل والنهر ، وأنا أغفر الذنب جميعا ، فاستغفروني أغفر لكم) رواه أحمد ومسلم عن أبي ذر مرفوعا ، وقل رسول الله ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ قَالَ: وَعَزْتَكَ يَا رَبَّ، لَا أَبْرُحْ أَغْوِيْ عَبَادَكَ مَا دَامَتْ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ، فَقَالَ الرَّبُّ: وَعَزْتِي وَجَلَّتِي لَا أَزَالُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي﴾ رواه أحمد والحاكم وهو في صحيح الجامع (١٦٥٠) ، والاستغفار هو طلب المغفرة من الله ، واعتراف بالذنب ، والتقصير في حقه عز وجل ، فإذا عصى العبد ربه وظلم نفسه بارتكابه الذنب كما قال موسى عليه السلام **﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾** (القصص الآية/١٦) ، فإذا وقع في الذنب مرة أخرى عاد واستغفر ربه هكذا دائمًا في استغفار ، فصار مثل ما ذكره رسول الله ﴿بِقَوْلِهِ (إِنْ عَدَا أَصَابَ ذَنْبًا، فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا فَاغْفَرْهُ، فَقَالَ رَبِّهِ: أَعْلَمُ عَبْدِي أَنْ لَهُ رَبًا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَنْحَذِبُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا، فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا آخَرَ فَاغْفَرْهُ فَقَالَ: أَعْلَمُ عَبْدِي أَنْ لَهُ رَبًا يَغْفِرُ

أكتوبر ٢٠٠٨

٢٩/٢٩

٤ - ج ٤٤ شوال ١٤٢٩

وستتكلّم بإذن الله تعالى عن هذه المكرفات العشر بترتيب ثالث ، وبالتفصيل مع زيادات مهمة عليها ليسهل حفظها إن شاء الله تعالى .

تنقسم مكرفات الذنب العشر إلى قسمين : خمس في الدنيا وخمس في الآخرة :

١ التوبة النصوح : **أما الخمس التي في الدنيا فهي :**

٢ الاستغفار : **٣ الحسنات الملحية وأعظمها التوحيد :**

٤ دعاء الملائكة والمؤمنين للعبد : **٥ المصائب المكفرة في حياته :**

٦ الابتلاء عند الموت في البرزخ : **٧ الابتلاء في عرصات يوم القيمة**

٨ دعاء المؤمنين وإهدائهم له من ثواب أعمالهم بعد موته :

٩ شفاعة النبي ﷺ وغيره من الملائكة والشهداء وغيرهم :

١٠ رحمة أرحم الراحمين عز وجل .

فالي سرد للمكرفات العشر بالتفصيل مع ذكر أدتها وأقوال أهل العلم :

١- التوبة النصوح : قل الله تعالى **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفَّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾** (التحريم الآية/٨) ، وقل تعالى **﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾** (الفرقان الآية/٧٠) .

* والتوبة النصوح هي الإقلاع عن الذنب في الحال والندم عليه والعزم على عدم العودة إليه ، والعزم على فعل المأمور والتزامه ، وإن كان الذنب في حق آدمي فالتحلل منه ، والتوبة النصوح لا بد من الصدق فيها والإخلاص وتعيم الذنب بها ، وهي واجبة على الفور بإجماع العلماء .

* فالواجب على العبد أن يتوب إلى الله توبة عامة مما يعلم من

أكتوبر ٢٠٠٨

٢٨/٢٨

٤ - ج ٤٤ شوال ١٤٢٩

الذنب ويأخذ به ؟ غفرت لعبي ، ثم مكت ما شاء الله ثم أذنب ذنبا فقل : رب أذنت آخر فاغفره لي ، فقل : أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به ؟ غفرت لعبي ، غفرت لعبي ، غفرت لعبي ، فليعمل ما شاء متفق عليه (٧٥٧) ، ومسلم (٢٧٥٨) .
فلا يستغفار من أعظم مكفرات الذنوب ، فعلى العبد أن يكثر من الاستغفار فإن الرسول ﷺ يقول (من أحب أن تسره صحيفته فليكثر من الاستغفار) البهقي وغيره صحيح الجامع (٥٩٥٥) وفي الحديث الآخر (طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارا كثيرا) ابن ماجة وغيره صحيح الجامع (٣٩٣٠) وتذكر دائما قول الله في الحديث القدسي (يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالى) الترمذى صحيح الجامع (٤٣٨) .

٣- الحسنات الماحية وأعظمها التوحيد : قال الله تعالى «إنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِنُ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذَكْرٌ لِلذَّاكِرِينَ» (هود الآية/١١٤) ، قل ابن كثير رحمه الله (إن فعل الخيرات يكفر الذنوب السالفة ويبين هذا ويوضحه حديث أبي ذر ومعاذ أن رسول الله ﷺ قال وأتبع السيئة الحسنة تحتها) حم . د . ت . صحيح الجامع (٩٧) وأعظم الحسنات الماحية التوحيد وصححة الاعتقاد والحذر من الشرك بأنواعه .

* قل رسول الله ﷺ ، قل الله تعالى (يا ابن آدم لو أنك أتيتني بقرب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقربها مغفرة) الترمذى وروى نحوه أحمد ومسلم صحيح الجامع (٤٣٨) ، فقوله تعالى (لا تشرك بي شيئاً أى سليماً من الشرك : كثيرة وقليلة ، صغيرة وكبيرة ، قل ابن رجب رحمه الله (من جاء مع التوحيد بقرب الأرض خطايا لقيه الله بقربها مغفرة فإذا كمل توحيد العبد وإخلاصه لله تعالى فيه ، وقام بشروطه بقلبه ولسانه وبجوارحه عند الموت أو جب ذلك مغفرة ما قد سلف من الذنوب كلها ، ومنعه من دخول النار بالكلية) جامع العلوم والحكم

فالعبد يسعى دائماً لتصحيح عقيدته ليسلم من الشرك بأنواعه .
► فالحسنات كلها ملحية للسيئات وقد جاءت النصوص في بعض الأعمال المكفرة للذنوب منها :
- حديث (من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطايا من جسله حتى تخرج من تحت أظافره) مسلم
- حديث (إن من موجبات المغفرة بذلك السلام وحسن الكلام) السلسلة الصحيحة (١٠٣٥) .
- حديث (ما من قوم يذكرون الله لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم من السماء أن قوموا مغفور لكم قد بدلتم سيئاتكم حسنات) أحمد ، وراجع صحيح الجامع (٥٦١٠) و (٥٥٧) وحسن سليم الهمالى في مكفرات الذنوب .
- وكذلك الصلاة والصيام والصدقة والشهادة وكفارة المجلس وغيرها ، فالإكثار من الأعمال الصالحة فيه تكفير للذنوب والمعاصي ، ومنها حديث (إن سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر تنقض الخطايا كما تنقض الشجرة ورقها) حم . ت . الأدب المفرد ، صحيح الجامع (٢٠٨٩) .
- ومنها حديث (ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات : إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطأ إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة) مسلم (٢١٩/١) .
► **٤- دعاء الملائكة والمؤمنين للعبد المؤمن :** قال الله تعالى «الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعَلِمْتَ فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَيِّلَكَ وَقَهْمَ عَذَابَ الْجَحَّامِ» (غافر الآية/٧) قال ابن كثير (فيض الله تعالى ملائكته المقربين أن يدعوا للمؤمنين بظهور الغيب ، ولذا كانوا يؤمّنون على دعاء المؤمنين بظهور الغيب) تفسير ابن كثير (٧١/٤) .

قلت : يشير رحمه الله إلى حديث أبي الدرداء أن رسول الله

اكتوبر ٢٠٠٨

٣١/٣١

٤- ج ٤٥ شوال ١٤٢٩

٣١/٣١

٤- ج ٤٥ شوال ١٤٢٩

قال (دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة ، عند رأسه) ملك موكلاً كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به : آمين ولك بمثل (رواه مسلم (٤ / ٢٠٩٤) فمن مكفرات الذنوب أن يدعوه له إخوانه المؤمنون ويستغفرون له .

٥- المصادب المكفرة في حياته : بشرط الصبر واحتساب الأجر وحمد الله تعالى ، وهذه المصائب اتطهر العبد المؤمن من خططيه كما يغسل الثوب الأبيض بالماء والثلج .

زار شداد بن أوس رضي الله عنه رجلاً مريضاً فقل له : أبشر بكفارات السينات وحط الخطايا ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول ، قل الله تعالى (إني إذا ابتليت عبداً من عبادي مؤمناً فحمدني وصبر قل ابن عبد الرحمن (أنا قيدت عبدي هذا وابتليته فأجروا لي ما بليته ، فإنه يقوم من مضجعه ذلك كيوم ولدته أمه من الخطايا) ويقول ربكم عز وجل (أنا قيدت عبدي هذا وابتليته فأجروا له ما كنتم تحررون له قبل ذلك من الأجر وهو صحيح) أحمد وغيره ، صحيح الجامع (٤٣٠٠) قال ابن عبد البر (الذنوب تکفرها المصائب والألام والأمراض وهذا أمر مجتمع عليه) التمهيد (٢٣ / ٢٦) ، وقل رسول الله ﷺ (ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكلها إلا كفر الله بها خططيه) متفق عليه ، صحيح الجامع الصغير (٥٨١٨) ، وقل ﷺ (ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وما له حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة) ت . حم . ك ، صحيح الجامع (٥٨١٥) صحيح سنن الترمذ (٢ / ٢٨٦) وقل ﷺ (ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حط الله به سيئاته كما تحط الشجرة ورقتها) متفق عليه ، خ (٥٦٤٧) م (٢٥٧١) والنصول في تکفير المصائب للذنوب كثيرة جداً .

(يتبع)

(١) سورة فصلت : ٤٤ .

دراسات وأبحاث :

البيان القرآني : مفهومه ووسائله

(الحلقة الثالثة)

بقلم : الأستاذ الدكتور عودة خليل أبو عودة
(رئيس المكتب العلمي في الأردن رابطة الأدب الإسلامي العالمية)

البيان القرآني والبيان العربي :
لقد أحت آيات القرآن الكريم على أن الكتاب الذي أنزل على محمد ﷺ نزل بلغتهم ، وبطريق تعبيرهم ، ولذلك تحداهم القرآن أن يأتوا بمثله ، وما كان ليتحداهم لو كان غير لغتهم ، قل تعالى : **﴿وَلَوْ جَعَلْنَا قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَعْجَمِيًّا وَأَعْرَبِيًّا﴾** (١) ومن هنا كان وجه التحدي مقبولاً ومعقولاً لدى الناس جميعاً ، ومن هنا تتضح القاعدة الأساسية لهذا البحث ، وهي أن وسائل البيان العربي ينبغي أن تكون مستمدلة من طريق التعبير القرآني ، وأن الخصائص التي تتمتع بها اللغة العربية هي الوسائل التي استخدمها البيان القرآني ، ومن هنا وقعت المفاجأة ، إذ تبدلت للعرب لغتهم بحروفها وكلماتها وتراكيبها في أنماط جديدة ، وأساليب مدهشة لم يستطعوا أن يأتوا بمثلها ، مع أنهم جميعاً كان بعضهم بعض ظهيراً ، ولكن هيهات ، وهنا لا بد من وقفه متأنية لتوضيح جوانب المسألة ، فعندما أنزل الله عز وجل كتابه على النبي ﷺ أنزله قرآنًا مقروءًا ، وجعل فيه من وسائل البيان وروعة التعبير ما فاق بيان العرب وفصاحتهم ، وهنا يجب التأكيد على حقيقة واضحة ، وهي أن القرآن الكريم ، وهو يستعمل لغة العرب ووسائل بيانهم ، تفوق عليهم وأعجزهم أن يأتوا بمثله على الرغم من أنه نزل بحروفهم

وكلماتهم وأنظمتهم اللغوية والصرفية، ولذا فإن التحديق في تراكيب القرآن الكريم وفي صيغه الصرفية، وفي اختيار للحراف، وفي تألف الكلمات، وفي الترابط الوثيق بين المضمون واللفظ هو السبيل الوحيد لمعرفة البيان القرآني، وتمثل صوره الرائعة، وأفاقه السامية التي لا تحد ولا تنتهي عجائبها ولا يفرغ الباحثون من التحدث عنها، **(لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنَفَّدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَادًا)**، لقد صنع القرآن الكريم في اللغة العربية لغة إسلامية عالية، تمثل فيها كل ما لدى العرب من فنون القول وإيقاع الشعر، وروعة التعبير، ولكنهم عندما قرأوا القرآن الكريم أو استمعوا إليه، وقفوا مشدوهين ! وجدوا في القرآن الكريم كل ما يجدونه في الشعر من روعة الإيقاع، وجمال التقسيم ولكنهم لم يجدوا فيه الشعر بدلالته الاصطلاحية التي عرفوها وقررواها في مصطلحات علومهم فيما بعد، لم يعرف العرب في الجاهلية المصطلحات العربية من بحور وتفعيلات وقوافٍ وزحافٍ وعلل، ولكنهم عندما عرفوها فيما بعد، بعد أن صنعوا الخليل بن أحمد الفراهيدي ، عادوا إلى القرآن فوجدوا أن فيه بعض المقاطع والتفعيلات والأوزان التي تشبه أشعارهم ، ولكننا عندما نعلم أن القرآن الكريم أنزل قبل معرفة هذه المصطلحات الفنية نقرر يقيناً أن القرآن الكريم يقول لهم أنه جاءهم بشيء جديد ، بنظم قرآنی فريد ، وتحداهم أن يأتوا بمثله .

نستطيع - إذن - أن نستخلص من تدبر آيات القرآن الكريم، وسائل البيان القرآني التي أعجزت الناس ، وأن نقدمها للأخوة القراء ، لتظل ثوابجاً يحتذى عسى أن يتنافس الكتاب والشعراء في الصعود إلى سلم البيان ما دام القرآن الكريم هو مثلهم الأعلى وقدوتهم العالية التي يتعلمون منها .

وسائل البيان القرآني :

أولاً : في الحروف :

الكلم اسم و فعل و حرف ، وقد امتهنت كتب النحو واللغة الحرف ، وعدته تابعاً مهيناً للاسم والفعل ، وكانت كتب التدريس في مناهج وزارات التربية والتعليم في كثير من أقطار العالم العربي ، تقول بعد أن تعرف كلاً من الاسم والفعل بما هو أهلة تقول "والحرف هو ما دون ذلك" .

ولكن القرآن الكريم جعل للحرف منزلته المقدرة عندما بدأ به ، فسواء أكانت البداية بـ **(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)** في أول آية القرآن الكريم في مطلع سورة الفاتحة أم كانت بـ **(أَلْمَ)** في أول سورة البقرة ، فكلتا هما بداية حرف ، والباء حرف جر ، وهذا الجار والمجرور **(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)** قدر له أن يكون أكثر الأصوات والتراكيب اللغوية ترددًا وانتشاراً في فضاء الكون **(٢)** .

نبدأ - إذاً - بما بدأ به الله عز وجل ، بالحروف ، وابتداء القرآن الكريم بالحرف فيه دلالة كبيرة على ما للحرف من أثر في بناء القرآن الكريم ، ونظمه المعجز .

والحروف نوعان : حروف المبني وحروف المعاني :

فأما حروف المبني فهي الحروف التي تشكل كلمات اللغة وتبيّنها ، وأما حروف المعاني فهي تلك الحروف التي تشكل دلالات خاصة لكل منها في السياق ، وهي أيضاً عوامل نحوية تؤثر في إعراب الأفعال والأسماء ، ومنها حروف الجر ، وحروف الجزم وحروف النصب ، وحروف الشرط وحروف الاستفهام وغيرها من حروف المعاني التي ألفت فيها كتب كثيرة مفيدة .

(٢) انظر مقالة **(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)** في كتاب **: شواهد في الإعجاز القرآني** ، دار عمّار ، عمان ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨ .

بعض الآيات يتكرر فيها حرف واحد، كالقاف مثلاً، عشر مرات، فلا تشعر وأنت ترددتها بأي صعوبة أو حرج، ولو أنا طلبنا من أي فرد أو مجموعة من الناس أن يؤلفوا جملة واحدة فيها حرف يتكرر عشر مرات لعجزوا إلا أن يؤلفوا كلاماً لا معنى له، أو لا غناء فيه، أقرأ قوله تعالى في سورة المائدة: **(وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَبَا قُرْبَانًا فَتَقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقْبَلْ مِنْ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يُتَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ)** (٣).

وأقرأ قوله تعالى في سورة هود، وانظر إلى حرف الميم يتكرر في آية منها ست عشرة مرة، فلا تحس إلا بتألف الكلمات والأصوات مما يعجز البشر أن يأتوا بمثله، قال تعالى: **(قَيْلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسْلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَّمٍ مِّمْنُّكَ وَأُمَّمٍ سُنْتَعُهُمْ ثُمَّ يَمْسِهُمْ مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ)** (٤).

وربما كان تكرار نون النسوة ثقيلاً على اللسان، ولطالما أحسينا بذلك عندما نطق بها في بعض كلمات فنحس بالتكلف والتعب، ولكنها في سورة يوسف صنعت جواً طبيعياً، فكأنك أمام مجموعة من النساء فعلاً، وأنهن جميعاً يتحدثن في وقت واحد، تماماً كما هو حالهن - غالباً - في حياتهن الواقعية، يقول الله عز وجل: **(فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرُهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِينًا وَقَاتَتْ أَخْرُجَ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرَتْهُ وَقَطَعْنَ أَيْدِيهِنَّ وَقَلَنَ حَاسِنَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ)** (٥).

وفي القرآن الكريم عشرات المواقع، مما تتكرر فيه الأصوات، أو تتتابع، مما صار مجالاً واسعاً لكتابات الباحثين؛ ولم نجد أحداً من الكتاب أشار إلى صعوبة في النطق، أو معاظلة في المعاني، أو ثقل في

(٤) سورة هود، الآية ٤٨.

(٣) سورة المائدة، الآية ٢٧.

(٥) سورة يوسف، الآية ٣٦.

وستنظر في بعض حروف المعاني وحرروف المبني وأثرها في البيان القرآني، فالحروف: المهمزة واللام والميم - مثلاً - تشكل وفق ترتيبات معينة ومقصودة - كلمات كثيرة، منها: ألم وأمل، وملا، ولاء، ولأم، والحرف - كما هو معلوم - هي أسماء للأصوات التي تتمثلها، فإذا كان الأمر كذلك، فإن تناغم هذه الأصوات وسلامتها في الكلمة الواحدة، وفي التراكيب اللغوية التي تتألف من سلامتها في الكلمة الواحدة، هو الأساس الأول الذي كلمات متعددة، وفق قواعد النحو واللغة، هو الأساس الأول الذي يcas عليه جمل التراكيب اللغوي، وفصاحته، وبلاعاته وبيانه، وقد فصلت كتب البلاغة قدماً وحديثاً في شروط فصاحة الكلمة، وفي صفات التراكيب اللغوي الصحيح، وفي عيوب الألفاظ والتراكيب وما يقع فيها من تعقيد لفظي وتعقيد معنوي، وما أظن كتاباً في البلاغة خلا من عشرات الأمثلة التي يرددتها مدرسوها، لتوضيح عوامل فصاحة الألفاظ وبلاغة التراكيب عندما تخلو من الألفاظ الحوشية، والكلمات الغريبة والتراكيب المعقدة، والمعاني المتداخلة الغامضة.

أما القرآن الكريم فهو التعبير السهل الواضح، المريح للنفس، المتوج مع خفقات القلب، تقرؤه من أوله إلى آخره فلا تجد فيه حرفًا ناشزاً، ولا كلمة غريبة، ولا تركيباً معقداً، وأظن أن موقع (الحرف) في القرآن الكريم ما زال بحاجة إلى بحث علمي جاد متخصص.

نتدبر حروف المبني فتجد في تألف الحروف في كلمات القرآن ما لا تستطيع أن تصفه، بل إننا نحس به ونلمسه لدى القراءة والدعاة والصلاوة، وإن حسن اختيار أصوات الكلمة الواحدة، ومن ثم أصوات الكلمات المتلاحقة، في القرآن جميعه أمر محسوس لدى كل قارئ للقرآن، ولو أنك قرأت الآية الواحدة عشرات المرات لما أحسست بثقل في القراءة أو ملل من الترداد، على حين لو أن المرء منا ردد اسمه، وهو أح恨 الأشياء إليه، ملل منه بعد مرتين أو ثلاثة.

اللسان ، ذلك لأن القرآن الكريم قد نظمت حروفه وكلماته في نسق عجيب لا يكون إلا للقرآن وحده . أما حروف المعاني فإن الحديث عنها متصل بالحديث عن الترداد ، الذي ينفيه البحث الجاد عن القرآن الكريم جملة وتفصيلاً ، ولا تستقيم نظرية الإعجاز القرآني إلا إذا آمنا بأنه لا يقوم حرف مقام حرف ، ولا كلمة مقام كلمة ، بل كل حرف وكل كلمة في مكانه الذي أبدعه الله عز وجل فيه .

اقرأ قوله تعالى : **«إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ»** (٦) . واقرأ قوله تعالى : **«يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ، تَقْلِيلٌ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةٍ يَسْأَلُونَكَ كَائِنَكَ حَفِيْ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ»** (٧) .

إن اللسان يكاد يعجل بقراءتها (كائن حفي بها) لأن هذا التركيب هو الشائع على ألسنة الناس ، بل إن بعض كتب التفسير ذكرت أن ابن مسعود قرأ (كائن حفي بها) (٩) ، وبعض المفسرين ذكر أن "عنها متعلق بيسألونك" (١٠) ، وما هذا إلا لأن الفعل (حفا يحفو يتعدى بالباء ، يقال) حفاه وحفا به يحفو حفواً أكرمه ، وحفا شاربه بالغ في قصه ، وحفي يحفي بفلان حفافة - بفتح الحاء وكسرها احتفل به (١١) .

ومثل هذا يقال في قوله عز وجل **«عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجَّرُ وَنَهَا تَفْجِيرًا»** (١٢) والمأثور لدى الناس في كلامهم وفي أدابهم أن يقولوا : عيناً يشرب منها عباد الله ومثل هذا أيضاً ما يلحظ في قوله عز وجل : **«وَلَقَدْ نَصَرْكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذْلَلُهُ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ»** (١٣) وقد شرحتها كتب التفسير بأن الباء هنا يعني في أي نصركم الله في بدر (١٤) وهذا غير كاف البتة ، ذلك أن معنى الظرفية التي تتحققه (في) موجود في الكلمة (بدر) ولكن الأولى والأحسن أن تكون الباء هنا يعني السبيبة ، أو الآلية ، أي إن انتصاركم في بدر كان سبباً لانتصار الإسلام وانتشاره على مر الأزمان واتساع المكان ، ومصداقاً لدعائه عليه الصلاة والسلام في أثناء معركة بدر فيما رواه ابن هشام ، حيث قال : "ثم عدل رسول الله ﷺ الصفوف ، ورجع إلى العريش فدخله ومعه فيه أبو بكر الصديق رضي الله عنه ليس معه فيه غيره ، ورسول الله يناشد ربه ما وعده من النصر ، ويقول فيما يقول "اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد" وأبو بكر يقول : يا نبي الله ، بعض مناشدتك ربك ، فإن الله منجز لك ما وعدك" (١٥) قال الإمام القرطبي في تفسيره "وعلى ذلك اليوم بني الإسلام" (١٦) ومن المعروف أن الله عز وجل سماه يوم الفرقان لأنه (اليوم الذي فرقت فيه بين الحق والباطل وهو يوم بدر) (١٧) ، قال الله عز وجل : **«إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقْيَى الْجَمِيعَنِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»** (١٨) .

(١٢) سورة آل عمران ، الآية ٦ .

(١٤) انظر الجامع لأحكام القرآن المشهور بتفسير القرطبي ، ج ٤ ، ص ١٩٠ .

(١٥) سيرة النبي لابن هشام ، ج ١ ص ٢٢٦ .

(١٦) تفسير القرطبي ، ج ٤ ، ص ١٩٠ .

(١٨) سورة الأنفال ، الآية ٤١ .

(٦) سورة الطارق ، الآية ٤ .

(٧) انظر بحث (لما) بين القواعد التحوية والقراءات القرآنية المنشور في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، العدد ٧٦ سنة ١٩٩٦ .

(٩) الكشاف ، ج ٢ ، ص ١٣٥ .

(١١) المعجم الوسيط ، مادة حفا .

(٨) سورة الأعراف ، الآية ١٨٧ .

(١٠) السابق ، ج ٢ ، ص ١٣٥ .

من البدعيات في القرآن الكريم

(الحلقة الثالثة)

بِقَلْمِ الأَسْتَاذِ مُحَمَّدِ عَارِفِ جَمِيلِ الْمَبَارِكِ فُورِي
(الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة)

١ - قال الله تعالى **«وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ»** (آل عمران/٣) اختلفوا في المراد بقوله : (الفرقان) على ثمانية أقوال كما يقول أبو حيان ، وعلى القول بأن المراد منه القرآن الكريم ما سبب إعادة ذكره ، وقد مر في قوله **«نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ»** ؟

ذكر الرazi وجوهاً في ذلك :

الأول : إنما أعاده تعظيمًا لشأنه ومدحًا بكونه فارقاً بين الحق والباطل ، ذكره - أيضاً - أبو حيان وأبو السعود والألوسي وابن عاشوره والشوكتاني (١) .

الثاني : أعاد ذكره ليبين أنه أنزله بعد التوراة والإنجيل ليجعله فارقاً بين ما اختلف فيه اليهود والنصارى من الحق والباطل ، وعلى هذا التقدير فلا تكرار (٢) .

الثالث : إنما أعاد ذكره ليوصل الكلام به في قوله : **«إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ»** (آل عمران/٥) ذكره ابن عاشور (٣) .

٢ - قال الله تعالى : **«فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ»** (آل عمران/٤) فإن قيل : ما الفائدة في قوله : **«فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ»** مع أنه لو أطلقه كان أبلغ ؟

(١) الرازى / ٧ - ١٣٣؛ وأبو حيان في تفسير الآية؛ وأبو السعود / ٢ / ٢ والألوسي / ٧؛ وابن عاشور في تفسير الآية والشوكتاني في تفسير الآية.

(٢) الرازى / ٧ - ١٣٣؛ ابن عاشور في تفسير الآية.

ومن قبيل الحديث عن البيان في حروف المعاني ما يتناقله الرواة وترويه الكتب ويتحدث به العلماء عن استخدام حرف مكان حرف ، كاستخدام الواو بدل الفاء ، أو ثم مكان الفاء ، أو أنه قال هنا (قل) وقل في موضع آخر (فقل) ، وفي موضع ثالث لم يقل (قل) إنما ذكر الإجابة دون وساطة ، كقوله تعالى في سورة البقرة (١٨٦) : **«وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنَّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانَ فَلَيْسَتْجِيئُوا لِي وَلَيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ»** على حين ذكر سبحانه وتعالى كلمة (قل) في كثير من المواقف التي أجيب بها عن سؤال ، كقوله تعالى في مطلع سورة الأنفال : **«يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ»** .

ومن هذا القبيل أيضاً ما تراه من تكرار حرف معينه مثل (أم) في سورة الطور ، تراه في مطلع عدد كبير من آياتها ، الآيات من ٣٠ - ٤٣ ، وتقرؤها فتحس بنسمة وراحة ، وتكررها مرات ومرات ، فيتفاعل في صدرك جمال التعبير وتلاحم المعاني وتشكل في نفسك رغبة ملحة بدوام النظر في القرآن الكريم وتلاوة آياته ، وقل مثل هذا ، في كلمة (وأنا) التي تتكرر في بداية عدد كبير من آيات سورة الجن ، الآيات (من ٥ - ١٤) وتردد (كان) في بعض آيات سورة الكهف ، (من ٧٩ - ٨٢) ، ومثل هذا كثير في القرآن الكريم ، مما لا يتسع هذا البحث لعرضه كاملاً ، وعسى أن تغنى الإشارة في بيان الفكرة ، وفي حصافة القارئ ، وخبرته بكتاب الله عز وجل ، ما يملاً قلبه يقيناً بتفرد البيان القرآني وسموه عمما ألفه من بيان الناس ، قبل نزول القرآن الكريم وبعلمه . إن للعلماء في هذه المسائل التي تتعلق بدلاله الحروف أقوالاً كثيرة تبين لطائف الإشارات ، وألوانها من الدلالات التي تشهد بعظمته البيان القرآني .

(يتبع)

هو المتصف بالألوهية، ثم أتى بوصف العزة الدالة على عدم النظير أو التناهي في القدرة والحكمة لأن خلقهم على ما ذكر من النمط البديع أثر من آثار ذلك، ذكره الألوسي، وأبو حيان (٧).

٤ - قل الله تعالى : **(شَهَدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأَوْلَوَالْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)** (آل عمران الآية/٨).
فإن قلت : ما فائدة إعادة قوله : **(لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ)** ؟

قلنا : الجواب من وجوه :

الأول : أن تقدير الآية : شهد الله أنه لا إله إلا هو، وإذا بذلك فقد صر أنه لا إله إلا هو، ونظيره قول من يقول : الدليل دل على وحدانية الله تعالى ، ومتى كان كذلك صر القول بوحدانية الله تعالى ذكره الرazi (٨) .

الثاني : أنه تعالى لما أخبر أن الله شهد أنه لا إله إلا هو وشهدت الملائكة وأولوا العلم بذلك صار التقدير ، كأنه قل : يا أمة محمد ! فقولوا أنتم على وفق شهادة الله وشهادة الملائكة وأولي العلم : **(لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ)** فكان الغرض من الإعادة الأمر بذلك هذه الكلمة على وفق تلك الشهادات ، ذكره الرazi ، وابن عاشور (٩) .

الثالث : فائدة هذا التكرير الإعلام بأن المسلم يجب أن يكون أبداً في تكرير هذه الكلمة ، فإن أشرف كلمة يذكرها الإنسان هي هذه الكلمة ، فإذا كان في أكثر الأوقات مشغلاً بذكرها وبتكريرها كان مشغلاً بأعظم أنواع العبادات ، فكان الغرض من التكرير في هذه الآية حتى العباد على تكريرها ، ذكره الرazi (١٠) .

(٧) الألوسي ٣/٧٨؛ وأبو حيان في تفسير الآية.

(٨) الرazi ٧/١٧٠.

(٩) الرazi ٧/١٧٠؛ وابن عاشور في تفسير الآية.

(١٠) الرazi ٧/١٧٠.

قل الرazi : الغرض بذلك إفهام العباد كمال علمه ، وفهمهم هذا المعنى عند ذكر السماوات والأرض أقوى ، وذلك لأن الحسن يرى عظمة السماوات والأرض ، فيعين العقل على معرفة عظمة علم الله عز وجل والحسن ، متى أعاد العقل على المطلوب كان الفهم أتم والإدراك أكمل ، ولذلك فإن المعاني الدقيقة إذا أريد إيصالها ذكر لها مثل ، فإن المثال يعين على الفهم (٤) .

وقل أبو حيان بن في قوله **(لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ)** خصهما لأنهما أكبر مخلوقاته الظاهرة لنا ، وأنهما محalan للعقلاء ، وأنهما أكثر المنافع المختصة بعباده (٥) .

٣ - قل الله تعالى : **(لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)** (آل عمران / ٦) .
فإن قلت : ما فائدة تكرار هذه الجملة ؟

قلنا : لوجهين :
الأول : ثم أنه تعالى لما أجاب عن شبهم أعاد كلمة التوحيد زجراً للنصارى عن قوله بالتشليث ، فقال : **(لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)** فـ "العزيز" إشارة إلى كمال القدرة وـ "الحكيم" إشارة إلى كمال العلم ، وهو تقرير لما تقدم من أن علم المسيح ببعض الغيوب ، وقدرته على الإحياء والإماتة في بعض الصور لا يكفي في كونه إلهًا ، فإن إله لا بد وأن يكون كاملاً القدرة وهو العزيز ، وكامل العلم وهو الحكيم ذكره الرazi ، ولبيه ، وأبو حيان (٦) .

الثاني : **(لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)** كرر الجملة الدالة على نفي الإلهية عن غيره تعالى وأنحصرها فيه توكيداً لما قبلها ومباغة في الرد على من ادعى إلهية عيسى عليه السلام وناسب مجدها بعد الوصفين السابقين من العلم والقدرة ، إذ من هذان الوصفان له

(٤) الرazi ٧/١٣٦؛ أبو حيان في تفسير الآية.

(٥) الرazi ٧/١٣٤؛ وتفسير لبيد تفسير الآية؛ وأبو حيان في تفسير الآية.

الوجه التاسع : وقل الراغب : إنما كرر **«لا إله إلا هو»** لأن صفات التنزيه أشرف من صفات التمجيد ، لأن أكثرها مشارك في ألفاظها العبيد ، فيصح وصفهم بها ، وكذلك وردت ألفاظ التنزيه في حقه أكثر ، وأبلغ ما وصف به من التنزيه : لا إله إلا الله ، فتكريره هنا لأمررين :

أحدهما : لكون الثاني قطعاً للحكم ، كقولك : أشهد أن زيداً خارج ، وهو خارج .

والثاني : لئلا يسبق بذكر العزيز الحكيم إلى قلب السامع تشبيه ، إذ قد يوصف بهما المخلوق انتهى ، ذكره أبو حيان (١٦) .

الوجه العاشر : وقل جعفر الصادق : الأولى وصف وتوحيد ، والثانية رسم وتعليم ؛ يعني قولوا لا إله إلا الله العزيز الحكيم ، ذكره القرطبي (١٧) .

الوجه الحادي عشر : ذكره أولاً للدلالة على اختصاصه بالوحدانية ، وأنه لا إله إلا تلك الذات المتميزة ، ثم ذكره ثانياً - بعد ما قرن بإثبات الوحدانية إثبات العدل - للدلالة على اختصاصه بالأمررين ، كأنه قال : لا إله إلا هذا الموصوف بالصفتين ، ولذلك قرن به قوله : **«العزيزُ الحكيمُ**» لتضمنهما معنى الوحدانية والعدل ، ذكره الزمخشري (١٨) .

٥ - قل الله تعالى : **«إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرُهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**

(آل عمران الآية/٢١) .

في الآية بدهيان :

الأولى : من البديهي أن القتل "قد علم مما سبق فما فائدة إعادته مع قوله : **«وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ**؟ والجواب من وجوه :

(١٧) القرطبي ٤٢/٤ .

(١٦) أبو حيان في تفسير الآية .

(١٨) الزمخشري في تفسير الآية .

أكتوبر ٢٠٠٨ م

٤٥/٤٥

٢٤ - ج ٥٤ شوال ١٤٢٩ هـ

الرابع : ذكر قوله **«لا إله إلا هو»** أولاً : ليعلم أنه لا تتحقق العبادة إلا لله تعالى ، ذكرها ثانياً : ليعلم أنه القائم بالقسط لا يجور ولا يظلم ، ذكره الرazi (١١) .

الخامس : كرر التهليل توكيداً ، ذكره كل من أبي حيان والشوکانی ، وأبي السعود والألوسي وابن عاشور ، وقل الألوسي : وفيه إشارة إلى مزيد الاعتناء بمعرفة أداته ، لأن تثبت المدعى إنما يكون بالدليل ، والاعتناء به يقتضي الاعتناء بأداته ولينبني عليه قوله تعالى :

«العزيزُ الحكيمُ» فيعلم أنه المنعوت بهما (١٢) .

السادس : لا تكرار فإن الأول شهادة الله ، والثاني شهادة الملائكة وأولي العلم ، ذكره الألوسي وقل : وهو ظاهر عند من يرفع الملائكة - بفعل مضرر ، واستبعده - جداً - أبو حيان وعلل بأنه يؤدي إلى قطع الملائكة عن العطف على الله تعالى ، وعلى إضمamar فعل رافع ، أو على جعلهم مبتدأ ، وعلى الفصل بين ما يتعلق بهم وبين التهليل بآجنبه ، وهو قوله **«قَائِمًا بِالْقِسْطِ**

(١٣) .

الوجه السابع : الأول جار مجرى الشهادة ، والثاني جار مجرى الحكم ، ذكره أبو حيان والشوکانی ، والقرطبي (١٤) .

الوجه الثامن : هذا الكلام ينطوي على مقدمتين ، وهذا هو نتيجتهما ، فكأنه قال : شهد الله والملائكة وأولو العلم وما شهدوا به حق فلا إلا هو حق ، فحذف إحدى المقدمتين للدلالة عليها ، ذكره أبو حيان ورده فقال : وهذا التقدير كله لا يساعد عليه اللفظ (١٥) .

(١١) الرazi ٧/١٧٠ .

(١٢) أبو حيان في تفسير الآية ؛ والشوکانی في تفسير الآية ؛ وأبو السعود ٢/١٦ ؛ والألوسي ٣/١٠٤ ؛ وابن عاشور في تفسير الآية .

(١٣) الألوسي ٣/١٠٤ ؛ وأبو حيان تفسير الآية .

(١٤) أبو حيان في تفسير الآية ؛ والشوکانی في تفسير الآية ؛ والقرطبي ٤/٤ .

(١٥) أبو حيان في تفسير الآية .

الأول: كرر الفعل لإبراز كل جملة في صورة التشنيع (١٩).

والتفظيع، لأن كل جملة مستقلة بنفسها، ذكره أبو حيأن (١٩).

الثاني: لاختلاف ترتيب العذاب بالنسبة على من وقع به الفعل، فقتل الأنبياء أعظم من قتل من يأمر بالمعروف من غير الأنبياء، فجعل القتل بسبب اختلاف مرتبته كأنهما فعلان مختلفان، ذكره أبو حيأن وأبو السعود، والآلوي (٢٠).

الثالث: يحتمل أن يراد بآحد القتلى تفويت الروح، وبالآخر الإهانة وإماتة الذكر، فيكونان إذ ذاك مختلفين، ذكره أبو حيأن (٢١).

الرابع: كرره للإشعار باختلافهما في الوقت، ذكره أبو السعود والآلوي (٢٢).

الثانية: ما الفائدة في تقييله بـ **(بغير حق)** وقت الأنبياء لا يكون إلا كذلك؟

الجواب من وجهين:

الأول: المراد منه شرح عظم ذنبهم، ذكره الرazi (٢٣).

الثاني: يجوز أن يكون المراد أنهم قصدوا بطريقه الظلم في قتلهم طريقة العدل (٢٤).

وقد تقدم الكلام عليه في سورة البقرة:

٦ - قل الله تعالى: **(أَلْمَ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّ فِرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ)** (آل عمران / ٢٣).

من البدوي أن التولي هو الإعراض بما الفائدة في قوله:

(١٩) أبو حيأن في تفسير الآية.

(٢٠) أبو حيأن في تفسير الآية، وأبو السعود ٢/ ١٦؛ والآلوي ٣/ ١٠٩.

(٢١) أبو حيأن في تفسير الآية.

(٢٢) أبو السعود ٢/ ١٦؛ والآلوي ٣/ ١٠٩.

(٢٣) الرazi في تفسير الآية.

(٢٤) الرazi في تفسير الآية.

«وَهُمْ مُعْرِضُونَ»؟

والجواب من وجوه:

الأول: المتولون هم الرؤساء العلماء والمعرضون الباقيون منهم، كأنه قيل: ثم يتولى العلماء والأتباع معرضين عن القبول من النبي ﷺ، لأجل تولي علمائهم، قاله الرازى، ذكره أيضاً - الآلوسي وأبو حيأن وعزاه لابن الأنبارى (٢٥).

والثاني: أن المتولى والمعرض هو ذلك الفريق، والمعنى أنه متولى عن استماع الحجة في ذلك المقام ومعرض عن استماع سائر المسائل والمطالب، كأنه قيل: لا تظن أنه تولى عن هذه المسألة، بل هو معرض عن الكل، قاله الرازى، وذكره أبو حيأن وأبو السعود والآلوي (٢٦).

الثالث: إنه للتأكيد، ذكره أبو حيأن، وابن عاشور، والآلوي (٢٧).

الرابع: أن المراد التولي عن الداعي والإعراض عما دعا إليه، ذكره أبو حيأن والآلوي (٢٨).

الخامس: أن المراد التولي بالبدن والإعراض بالقلب، ذكره أبو حيأن وأبو السعود والآلوي (٢٩).

٧ - قل الله تعالى: **(يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضِرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمْدَأَ بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ)** (آل عمران / ٣٠).

(٢٥) الرازى ٧/ ١٧٩؛ والآلوي ٣/ ١١٠؛ وأبو حيأن في تفسير الآية.

(٢٦) الرازى ٧/ ١٧٩؛ وأبو حيأن في تفسير الآية؛ وأبو السعود ٢/ ١٦؛ والآلوي ٣/ ١١٠.

(٢٧) أبو حيأن في تفسير الآية؛ والآلوي ٣/ ١١٠؛ وابن عاشور في تفسير الآية.

(٢٨) أبو حيأن في تفسير الآية؛ والآلوي ٣/ ١١٠.

(٢٩) أبو حيأن في تفسير الآية؛ وأبو السعود ٢/ ١٦؛ والآلوي ٣/ ١١٠.

فإن قلت: ما فائدة التحذير في قوله: **«وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ»**
وقد سبق؟
قلنا: ذكرها فيه فوائد:
الأولى: هو لتأكيد الوعيد، ذكره الرazi والزمخشري،
والشوكاني (٣٠).
وذكرها أبو حيان وأضاف: **«وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ»**، كرر
التحذير للتوكيد والتحريض على الخوف من الله بحيث يكونون

الثانية: متنبأ أمره ونفيه (٣١).
وذكرها أبو السعود وأضاف: تكرير لما سبق وإعادة له لكن لا
للتاكيد فقط، بل لإفادته ما يفيده قوله عز وجل: **«وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ»**
من أن تحذيره تعالى من رافقه بهم ورحمته الواسعة، وأن رافقه بهم لا
يمنع تحقيق ما حذرهموه من عقابه وأن تحذيره ليس مبيناً على تناسي
صفة الرأفة بل هو متحقق مع تحققها أيضاً كما في قوله تعالى: **«يَا أَيُّهَا**
الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ» فالجملة على الأول اعتراض، وعلى
الثانية أيضاً حل وتكرير الأسم الجليل لتربيه المهابة (٣٢).
وذكره أيضاً الألوسي وابن عاشور واستشهد بقول لبيد:

فتنازعَا سِيَطًا يَطِيرُ ظِلَالَهِ
كَدُخَانٍ مُشَعَّلَةً يُشَبِّهُ ضِرَامُهَا
مَشْمُولَةً غُلَثَتْ بِنَابَتْ عَرْفَجَ
كَدُخَانٍ نَارٍ سَاطَعَ أَسْنَامُهِ (٣٣)

الثانية: يجوز أن يكون الأول تحذيراً من موالة الكافرين
والثانية تحذيراً من أن يجدوا يوم القيمة ما عملوا من سوء محضراً،

ذكره ابن عاشور (٣٤).

الثالثة: ذكره أولاً للمنع عن موالة الكفار، وهنا حثا على عمل
الخير والمنع عن عمل السوء مطلقاً، ذكرها الألوسي، ومراح لبيد (٣٥).

٨ - قل الله تعالى: **«إِذْ قَالَتْ امْرَأَةٌ عِمْرَانَ رَبِّ إِلَيْيَ نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي**
بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» (آل عمران / ٣٥).

فإن قيل: إن الله سمِيع قبل أن قالت المرأة هذا القول، فما
معنى هذا التقييد؟

قلنا: الجواب من وجوه:

الأول: سمعه تعالى لذلك الكلام مقيد بوجود ذلك الكلام
وعلمه تعالى بأنها تذكر ذلك مقيد بذكرها لذلك والتغير في العلم
والسمع إنما يقع في النسب والمتصلات، ذكره الرazi (٣٦).

الثاني: هو تعليل لاستدعاء القبول لا من حيث إن كونه تعالى
سيعاً لدعائها عليهما بما في ضميرها مصحح للتقبل في الجملة، بل من
حيث إن علمه تعالى بصححة نيتها وإخلاصها مستعد لذلك تفضلاً
وإحساناً، ذكره أبو السعود والألوسي (٣٧).

٩ - قل الله تعالى: **«فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِلَيْيَ وَضَعَتْهَا أَنْتَيْ**» (آل
عمران الآية / ٣٦).

من البدهي هنا أن الله تعالى خبير بما وضعت فما فائدة
الإخبار به؟

والجواب من وجوه:

الأول: أن الفائدة في هذا الكلام أنه تقدم منها النذر في تحرير
ما في بطنهما، وكان الغالب على ظنها أنه ذكر فلم تشرط ذلك في

(٣٤) ابن عاشور في تفسير الآية.

(٣٥) الألوسي / ١٢٦ / ٣؛ ومراح لبيد في تفسير الآية.

(٣٦) الرazi في تفسير الآية.

(٣٧) أبو السعود / ٢٥ / ٢؛ والألوسي / ٣٤ / ٣.
أكتوبر ٢٠٠٨

(٣٠) الرazi / ٨؛ والزمخشري في تفسير الآية؛ والشوكاني في تفسير الآية.

(٣١) أبو حيان في تفسير الآية.

(٣٢) أبو السعود / ٢ / ١٦.

(٣٣) الألوسي / ٣ / ١٢٦؛ وابن عاشور في تفسير الآية.

(٣٤) ع - ج ٥٤ شوال ١٤٢٩.

كلامها، وكانت العادة عندهم أن الذي يحرر ويفرغ خلمة المسجد طاعة الله هو الذكر دون الأنثى، فقالت **«رب إثني وَضَعْتُهَا أُنْثِي»** خائفة أن نذرها لم يقع الموقع الذي يعتمد به ومتذررة من إطلاقها النذر المقدم فذكرت ذلك لا على سبيل الإعلام لله تعالى، تعالى الله عن أن يحتاج إلى إعلامها، بل ذكرت ذلك على سبيل الاعتذار، قاله الرazi (٣٨)، وذكره الزمخشري، وأبو حيان وأبو السعود وصلاح "مراح" (٣٩).

الثاني: إنه يتحمل أن يكون فائدة هذا الكلام التحقيق للمحرر استجلاباً للقبول لأنه من تواضع الله تعالى رفعه الله سبحانه، ذكره الألوسي ورده فقال: مستحق من القول بالنسبة إلى ما ذكرنا (٤٠). ١٠ - قل الله تعالى: **«هَنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَا رَبَّهُ قَالَ رَبُّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ نُرْيَةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ»** (آل عمران الآية/٣٨).

في الآية بذهيتان:
الأولى: من البدهي هنا أن الولد لا يكون إلا من الله تعالى فما
فائدة قوله: **«مِنْ لَدُنْكَ»**؟

وأجيب بأن الفائدة في ذكره هنا أن حصول الولد في العرف والعادة له أسباب مخصوصة فلما طلب الولد مع فقدان تلك الأسباب كان المعنى: أريد منك إلهي أن تعزل الأسباب في هذه الواقعية وأن تحدث هذا الولد بمحض قدرتك من غير توسط شيء من هذه

(٤١) الرazi في تفسير الآية؛ وأبو حيان في تفسير الآية؛ وأبو السعود ٢٢/٢؛ والألوسي ٣/١٤٥.

(٤٢) الرazi في تفسير الآية.

(٤٣) أبو حيان تفسير الآية.

(٤٤) أبو السعود ٢/٣٣، والألوسي ٣/١٤٥.

(٤٥) الألوسي ٣/١٣٤.

(٤٦) الزمخشري في تفسير الآية؛ وأبو حيان في تفسير الآية؛ وأبو السعود ٢/٢٥؛ ومراح ليد في تفسير الآية؛ والألوسي ٣/١٣٤.

(٤٧) الرazi تفسير الآية.

٢٤ - ج ٥٤ شوال ١٤٢٩ هـ

٥٠/٥٠

٢٤ - ج ٥٤ شوال ١٤٢٩ هـ

٥٠/٥٠

الأسباب، ذكره الرazi، وأبو حيان وأبو السعود والألوسي (٤١). الثانية: من المعلوم أن الله تعالى يسمع صوت الدعاء فما فائدة قوله: **«إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ»**؟

أثار هذا السؤال الرazi واجاب عنه فقال: ليس المراد منه أن يسمع صوت الدعاء، فذلك معلوم، بل المراد منه أن يجيب دعاءه، وهو كقول المصليين: سمع الله من حمه، يريدون قبل حمد من حمد من المؤمنين، وهذا متتأكد بما قال تعالى حكاية عن زكريا عليه السلام في سورة مريم **«وَلَمْ أَكُنْ يَدْعَائِكَ رَبَّ شَقِيقًا»** (مريم الآية/٤) (٤٢).

وقال أبو حيان: لما دعا رباه بأنه يهب له ولداً صالحاً، أخبر بأنه تعالى مجيب الدعاء، وليس المعنى على السمع المعهود، بل مثل قوله: سمع الله من حمه، عبر بالسماع عن الإجابة إلى المقصود، واقتفي في ذلك جده الأعلى إبراهيم عليه السلام إذ ذلك: **«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكَبِيرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ»** (سورة إبراهيم ٣٩) فلنجاب الله دعاءه ورزقه على الكبر كما رزق إبراهيم على الكبر، وكان قد تعود من الله إجابة دعائه، ألا ترى إلى قوله: **«وَلَمْ أَكُنْ يَدْعَائِكَ رَبَّ شَقِيقًا»** (٤٣).

وذكره أبو السعود - أيضاً - وتبعه الألوسي (٤٤).

(٤١) الرazi في تفسير الآية؛ وأبو حيان في تفسير الآية؛ وأبو السعود ٢/٢؛ والألوسي ٣/١٤٥.

(٤٢) الرazi في تفسير الآية.

(٤٣) أبو حيان تفسير الآية.

(٤٤) أبو السعود ٢/٣٣، والألوسي ٣/١٤٥.

(٤٥) يتبع

حياة الزجاج :

عاش الزجاج في القرن الثالث الهجري ، وفترة من أول القرن الرابع ، وهذا الزمن الذي عاش فيه يعد أخصب العصور الفكرية في التاريخ العربي ؛ حيث نضجت فيه ثمار العلوم في مختلف أنواعها ، وغنى بعلماء كثريين ذوي شهرة واسعة في شتى ميادين العلوم ، ولا نزال إلى وقتنا الحاضر نعيش على هذا التراث الفكري الذي خلفه هؤلاء العلماء الأفذاذ (٣) .

وقد كان الزجاج في شبيبة يخترط الزجاج ، وكسبه في كل يوم درهم ودانقان ، أو درهم ونصف ، ولكن وجد ميلاً إلى التعليم وتحصيل العلم - مع ما هو فيه من إقلال - ؛ فلزم مجلس إمام الكوفيين (ثعلب) ، ودرس على يديه النحو الكوفي ، ووصل به الحال إلى أن قال عن نفسه : "كنت في ابتداء أمري قد نظرت في علم الكوفيين وانقطعت إليه ، فاستكثرت منه حتى وقع لي أني لم أترك منه شيئاً ! " (٤) .

ثم اشتهر الزجاج تعلم النحو البصري ؛ فترك ثعلب وقصد المبرد لتعلميه ، "وكان المبرد لا يعلم مجاناً ، ولا يعلم بأجرة إلا على قدرها" (٥) ونظرًا لشغف الزجاج للتعلم ، وطمعاً منه في مبالغة المبرد في تعليميه ؛ كتب على نفسه أن يدفع كل يوم درهماً أجراً على تعليميه ، وشرط أن يعطيه إيه أبداً حتى يفرق الموت بينهما ، استغنى عن التعليم أو احتاج إليه ، وكان يخدمه في أموره مع ذلك ! (٦) .

وظل الزجاج مع المبرد حتى درس على يديه كتاب سيبويه وأنفقه ووعله ، ولم يثنه هذا عن دراسة الأدب أيضاً ، حتى صار من

(٣) معاني القرآن وإعرابه : لأبي إسحاق الزجاج ، تحقيق الدكتور عبد الجليل عبد شلبي ، (مقدمة الحق) ١٠ / ١٠ ، ١١ - بتصريف يسر - الطبعة الأولى - عالم الكتب بيروت ١٤٠٨هـ .

(٤) مجالس العلماء : أبو القاسم الزجاجي ، ص ١٦٤ ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط . الكويت ١٩٦٢م .

(٥) معجم الأدباء : ١/١ ، ١٣٦ .

(٦) انظر : المصدر السابق : ١/١ ، ١٣٦ .

أبو إسحاق الزجاج

عالم مشهور مغمور

بتلم : الدكتور الأستاذ محمد علي بلاسي *

هو أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج (١) .
فاسمه (إبراهيم) ، وكتبه (أبو إسحاق) ، ولقبه (الزجاج) ،
وهو لقب مهنة ؛ حيث كان في أول حياته يحترف خراطة الزجاج .
وطنه :
أشار ياقوت الحموي : إلى أن الزجاج "كان ينزل بالجانب
الغربي من بغداد في الموضع المعروف بالدويرة" (٢) .

(*) عضو المجلس العالمي للغة العربية أكاديمي ، خبير دولي ، عضو رابطة الأدب الإسلامي
العالية ، عضو أحد كتاب مصر .

(١) راجع : إشارة التعين في ترجم النحة واللغويين : لعبد الباقي ابن عبد الجيد اليماني ،
تحقيق و/عبد الجيد ديب ، ص ١٢ ، الطبعة الأولى - شركة الطباعة العربية السعودية سنة
١٤٠٦هـ ، الناشر : مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض وطبقات
النحوين واللغويين : لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي ، تحقيق محمد أبو الفضل
إبراهيم ، ص ١١١ ، الطبعة الثانية - دار المعارف ، د . ت . وباللغة في ترجم أئمة النحو
واللغة : مخد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، تحقيق محمد المصري ، ص ٤٥ - الطبعة
الأولى - مطبعة الفيصل سنة ١٤٠٧هـ ، منشورات مركز المخطوطات والتراجم بالكويت ،
والفهرست : للتنديم ، تحقيق رضا - تجدد ، ص ٦٦ (بدون ذكر الطباعة والتاريخ) ، ومعجم
الأدباء : ياقوت الرومي ، بتحقيق مرجليلوث ١ / ١٣٠ ، الطبعة الأخيرة - دار المأمون سنة
١٩٦٦ ، وكشف الغطون عن أسمى الكتب والفنون ، حاجي خليفة ، ص ٧٢٣ ، ١٣٩١ ، ١٣٩٩ ،
١٤٢٨ ، ١٤٣٨ ، ١٤٤٦ ، ١٤٥١ ، ١٤٥٩ ، ١٩٨٠ ، (بدون ذكر الطباعة والتاريخ) ، منشورات مكتبة
المنى ببغداد ، وتاريخ الأدب العربي : كارل بروكلمان ، نقله إلى العربية الدكتور عبد الحليم
النجار ٢ / ١٧٦ ، الطبعة الثالثة - دار المعارف بمصر د . ت . (٢) معجم الأدباء : ١ / ١٤٧ .

فسر الثنائي كله ، وكتبه بخط الترمذى الصغير أبي الحسن ، وجمله ، وحمله إلى الوزير المعتصم ، واستحسنه وأمر له بثلاثمائة دينار ، وتقىء إليه بتفسيره كله ، ولم يخرج لما عمله الزجاج نسخة إلى أحد ، إلا إلى خزانة المعتصم .

وصار للزجاج بهذا السبب منزلة عظيمة ، وجعل له رزق في الندماء ، ورزق في الفقهاء ، ورزق في العلماء ، نحو ثلاثة دينار (٩) . ثم صار الزجاج ذلك نديماً لل الخليفة المكتفى (ت ٢٩٥ هـ) (١٠) ، وهذا كله لم يصرف الزجاج عن التأليف والتصنيف في شتى المعارف والفنون ؛ حيث أثرى المكتبة القرآنية والعربية بدرر من المؤلفات ، التي لا زلنا نستفيد منها ونعتمد عليها .

أساتذته :

- ١ - ثعلب : أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد يسار بن شيبان (٢٠٠ - ٢٩١ هـ) إمام الكوفيين في النحو واللغة (١١) .
- ٢ - المبرد : أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكابر (٢٨٥ - ٢١٠ هـ) والذي انتهت إليه رئاسة البصريين (١٢) ، وبعد الزجاج أشهر تلامذته (١٣) ، وكان له تأثير كبير في تشكيل شخصية الزجاج العلمية .
- ٣ - القاضي إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد أبو إسحاق الأزدي (ت ٢٨٢ هـ) (١٤) .

(٩) الفهرست : للنديم ، ص ٦٦ ، وانظر : معجم الأدباء : ١٤٨ / ١ - ١٥٠ .

(١٠) راجع : طبقات النحوين واللغويين : للزبيدي ، ص ١١١ .

(١١) انظر : معجم الأدباء : ٥ / ١٠٣ .

(١٢) راجع : إنماء الرواية على أنباء النحة : أبو الحسن القسطي ، تحقيق أبي الفضل إبراهيم ٣ / ٢٤١ وما بعدها ، ط . دار الكتب سنة ١٣٦٩ هـ .

(١٣) انظر : تاريخ الأدب العربي : كارل بروكلمان ٢ / ١٧٦ .

(١٤) راجع : البداية والنهاية في التاريخ : للإمام الحافظ ابن كثير ، ١١ / ٢٢ ط . الأولى - مطبعة السعادة سنة ١٣٥١ هـ .

أهل العلم والأدب ، وله منزلته الخاصة بين تلامذة المبرد المقربين . وفي يوم ماجد كتاب بعض بني مارقة بن الصراة إلى المبرد يلتمسون فيه معلماً نحوياً لأولادهم ، يقول الزجاج : " فقلت له أسماني لهم ، فأسماني ، فخرجت فكنت أعلمهم وأنفذ إليه في كل شهر ثلاثة درهماً وأزيد به بعد ذلك بما أقدر عليه ، ومضت مدة على ذلك ، فطلب منه عبيد الله بن سليمان مؤذباً لابنه القاسم ، فقال له : لا أعرف لك إلا رجلاً بالصراة مع بني مارقة ، قال : فكتب إليهم عبيد الله فاسترهم عني فنزلوا له ، فلحضرني وأسلم القاسم إلى ؛ فكان ذلك سبب غنائي " (٧) . " فلما وَرَّ القاسم بعد وفاة أبيه - عبيد الله بن سليمان وزير الخليفة المعتصم - اتَّخذ الزجاج كاتباً له " (٨) .

" ثم ارتفع الزجاج وصار مع المعتصم (ت ٢٨٩ هـ) ؛ يعلم أولاده وكان سبب اتصاله بالمعتصم : أن بعض الندماء وصف للمعتصم كتاب " جامع النطق " الذي علمه محبة النديم وكان حسن الأدب ، ونادم المعتصم ، وجعل كتابه جداول ، فأمر المعتصم القاسم ابن عبيد الله أن يطلب من يفسر تلك الجداول ، فبعث إلى ثعلب وعرضه عليه فلم يتوجه إلى حساب الجداول ، وقال لست أعرف هذا ، وإن أردتم كتاب العين موجود ، ولا رواية له ، ثم كتب إلى المبرد أن يفسرها ، فأجابهم : إنه كتاب طويل ، يحتاج إلى تعب وشغل ، وإن قد كبر وضعف عن ذلك ، وإن دفعتموه إلى صاحب إبراهيم بن السري رجوت أن يفي بذلك .

فتغافل القاسم عن مذكرة المعتصم بالزجاج حتى ألح عليه المعتصم فأخبره بقول ثعلب والمبرد وأنه أحل على الزجاج ، فتقدم إليه بالتقدم إلى الزجاج بذلك ، ففعل القاسم ، فقال الزجاج : أنا أعمل ذلك على غير نسخة ، ولا نظر في جدول ، فأمره بعمل الثنائي

(٧) نفس المصدر : ١٣١ / ١ ، ١٣٢ ، وانظر ما بعدها من صفحات ؛ تجد مزيداً من التفصيل .

(٨) تاريخ الأدب العربي : كارل بروكلمان ٢ / ١٧٦ .

أخلاقه: لقد كان الزجاج "من أهل الدين والفضل، حسن الاعتقاد،
جليل المذهب" (١٥).

وتسوق كتب الترجم قصبة تدل على حسن خلقه، وهي: أنه جرى بين الزجاج وبين المعروف بمسيند - وكان من أهل العلم - تتمر، فاتصل ونسبة إبليس وألمحه، متى خرج إبراهيم بن السري إلى حد الشتم، فكتب إليه مسيند:

أبي الزجاج إلا شتم عرضي
لينفعه فإنه وضرة

وأقسم صادقاً ما كان حر
ليطلق لفظة في شتم حره

ولو أني كررت لفر مني
ولكن المنون علي كره

فأصبح قد وقه الله شري
ليوم لا وقه الله شره
فلما اتصل هذا الشعر بالزجاج قصبه راجلاً حتى اعتذر إليه
وسأله الصفح ! (١٦).

كذلك كان الزجاج - رحمه الله - باراً بأستاذته: فيذكر أنه بعد
أن استغنى عن الدرس على أستاذة المبرد - حيث استوى على عوده
- ، كان يخدمه في أموره ويعطيه درهماً كل يوم إلى أن مات ! (١٧).

وعن ورع الزجاج وخشيته من الله، حديث ولا حرج: فقد كان
الزجاج - رحمه الله - تقيناً ورعاً رقيق الطياع وفياً، يخشى الله يراقبه في
كل أموره؛ وهناك العديد من المواقف التي تؤكد ذلك: كموقفه من
القراءات القرآنية وتحذير القارئ من أن بقراءة غير متواترة وإن كانت

(١٥) معجم الأدباء: ١/ ١٣٠.

(١٦) المصدر السابق: ١/ ١٣٧، ١٣٦.

(١٧) نفس المصدر: ١/ ١٣٦.

اللغة تحيزها (١٨).

وكذا تحفظه - في تفسيره - عند ذكر أسباب نزول الآيات
القرآنية (١٩).

أيضاً فإن أمانة الزجاج العلمية في النقل عن غيره ونسبة
الآراء إلى قائلها كانت سمة مميزة له في مؤلفاته (٢٠) بعد هذا كله؛
فليس هناك مسوغ لما ساقته بعض كتب الترجم من أن الزجاج قد
فرض جعلًا على كل من قصد باب تلميذه القديم الوزير أبي القاسم
بن عبد الله بن سليمان؛ لقاء تقديم رقائهم له وواسطته عنه؛
وعليه كان سبب غناه ؟ !! (٢١).

أقول: لا يعدو هذا - في نظري - أن تكون مثل تلك الحكاية -
بعد ما رأينا من خلق الزجاج وورعه - مختلفة عليه من الحاسدين
والحاقدين ، الذين لا نعدمهم في كل زمان ومكان؛ حيث يجدون مجالهم
الرحب مع النابهين - للتقليل من شأنهم - من أمثل الزجاج، ذلك الذي
له من الخلق والتقدير والنبوغ ما يقل أن يوجد له مثيل في ذلك الحين !!

ثقافة الزجاج . ومنزلته العلمية :

لقد كان الزجاج - بحق - موسوعة علمية جمعت شتى المعرف ،
وساعده على ذلك : أنه كان من المعلمين " ومدرسة المعلمين في ذلك
الوقت كانت تقوم على دراسات معينة قوامها دراسة اللغة ورواية

(١٨) انظر : معاني القرآن وإعرابه: للزجاج ٤/٤٠٤، ٥/٢٣٥، وما ينصرف وما
ينصرف : للزجاج ، تحقيق هدى محمود قراعة ، ص ٩٩ ، ط . مطباع الأهرام التجارية ،
سنة ١٣٩٦هـ ، والإبانة والتفهم عن معنى "بسم الله الرحمن الرحيم": للزجاج ،
ورقة ١٥ (خطوط بدار الكتب العامة بمصر ، تحت رقم ٢١ نحو "ش" .

(١٩) انظر : معاني القرآن وإعرابه: للزجاج ، تحقيق الدكتور عبد الجليل شلبي ،
(مقدمة الحق)، ٢٣/١ ، ٤٢٢ ، ١٢١/٢ ، ١٢٦/١ ، ٤٢٢ ، ١٢١/٢ ، ١٢٦/١ ،

(٢٠) راجع - على سبيل المثال - : معاني القرآن وإعرابه: ١/١ ، ٣٦٣/٤ ، ٣٦٣/٤ ، ١٦٦/٤ ، ١٦٦/٣ .

(٢١) راجع هذه الحكاية بالتفصيل في : معجم الأدباء: ١/ ١٣٢ وما بعدها .

الأشعار والأخبار وما إلى ذلك ، فهي تمثل الدراسة العربية البحتة ، وكتاب سيبويه ركن أساسى في هذه الدراسة " (٢٢) . " وتبعد شخصية الزجاج البارزة المتميزة اللافتة للأنظار في ما أبداه من براهين وأدلة وما قاله في المناقشات حول المشكلات النحوية التي تزخر بها كتب اللغة والتفسير ، واستشهد به المفسرون واللغويون وفي ما ضمته مؤلفاته العديدة التي خلفها" (٢٣) .

إن قيمة العلماء تقدر : بما خلقوه من علم ، وما أنجبوه من تلاميذ ، وما خطوه من معالم ظهرت آثارها في فكر الخالفين . والزجاج - رحمه الله - بما حباه الله من فكر متقد ، وثقافة عالية ، وإخلاص للعلم وأهله ؛ كان قبلة لطلاب العلم من كل صوبٍ وحدب ؟ فقد قصده الطلاّب ينهلون من معينه ، ويرتشفون من فيض علمه ؛ حتى لقد تخرج على يديه جهابنة علماء عصره من النابهين ، فحملوا شعلة فكره وأناروا بها طريقهم العلمي أينما حلوا شرقاً أو غرباً !

ومن أشهر هؤلاء العلماء الأفذاذ (٢٧) :

١. أبو بكر محمد السري بن السراج (ت ٣٦٩هـ).
٢. أبو العباس أحمد بن محمد بن الوليد ولاد النحوي التميمي البصري (ت ٣٣٢هـ).
٣. أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاج (ت ٣٣٩هـ).
٤. أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل العسكري المعروف بمبرمان

(٢٥) راجع : طبقات النحويين واللغويين : لأبي بكر الزبيدي ، ص ١٦٨.

(٢٦) انظر : معجم الأدباء : ١/١٣١، ١٣٢.

(٢٧) لمزيد من التفصيل : راجع : معجم الأدباء : ٧/٢٣٢، ١٤/٧، ١٩٧/١٨، ٧٤/١٤، ٢٣٢/٧ ، وإن به الرواية على أبناء النحة : ١/٩٩، ١٠٤ ، وبغية الوعة في طبقات اللغويين والنحاة : جلال الدين السيوطي ، ص ٢٠، ٧٤، ٢١٨، ٢٩٧، ط. السعادة ، وإشارة التعين في ترجم النحة واللغويين : لليماني ، ص ٢٦، ٤٥، ٥٥، ٥٧، ٥٨، ٨٣، ٨٤، ٩٣، ١٨٠، ١٨١، ٢٤٤، ٣٤١ ، والبلغة في ترجم آنمة النحو واللغة : للغفروز آبادي ، ص ٦٢، ٦٣، ٨٢، ١٤٩/١٥٠.

الباحثين أن ينقبوا ويستخرجوا دوره !

هذا ؛ ومن مجموع ما ذكرته كتب الترجم من مصادر للزجاج ؛

تبين لي أن مؤلفاته هي :

١. معاني القرآن وإعرابه (٢٩).
٢. فعلت وأفعلت (٣٠).
٣. خلق الإنسان (٣١).
٤. كتاب الفرق (٣٢).
٥. خلق الفرس .
٦. النوادر المفيلة .
٧. كتابي العروض والقوافي .
٨. كتاب الأنواء وأسماء الشهور .
٩. شرح على "جامع المنطق" لأبي حعفر يحيى بن أبي عباد النديم (ت ٢٨٥هـ) (٣٣).
١٠. أمالى الزجاج (٣٤).

(٢٩) قام بتحقيقه المرحوم د/ عبد الجليل عبد شibli ، وطبعه في مجلدات خمسة لدى دار عام الكتب بيروت سنة ١٤٠٨هـ .

(٣٠) طبع في ثلاث طبعات ، آخرها بدمشق بتحقيق الأستاذ ماجد الذمي سنة ١٩٨٤م .

(٣١) كان أول من نشره مطبوعاً : المستشرق جرومle المغوار ، فلم يجعله مطية النسيان ؛ حيث وصل إلينا تفسيره الظاهر "معاني القرآن وإعرابه" ، والذي فيه أودع خلاصة فكره ، وعلى سنة ١٩٠٠م ، في ليدن .

في إحدى مكتبات حلب ، ولكن يد الزمان لم تجده به علينا ! ينظر تاريخ التراث العربي : (٢٨) راجع : الفهرست : ص ٢٧، ٢٦ ، وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : حاجي خليفة ، ص ٧٢٣ ، ١٣٩١ ، ١٣٩٩ ، ١٤٢٨ ، ١٤٣٨ ، ١٤٤٦ ، ١٤٤٧ ، ١٤٥١ ، ١٤٥٩ ، ١٤٥٩هـ ، وتاريخ الأدب العربي : كارل بروكلمان ٢ م ١٧٢ ، ١٧٣ ، و تاريخ التراث العربي : فؤاد سزكين ، ترجمة د/ عرفة مصطفى ، المجلد الثامن ، الجزء الأول ، ص ١٦٦ - ١٧٢ ، أشرف على طباعته ونشره : إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، سنة ١٤٠٨هـ .

كبرى ووسطى وصغرى ، غير أنها لم تصل إلينا ، ينظر المرجع السابق ١٦٩/١ .

أكتوبر ٢٠٠٨م

٦١/٦١

٤٢ - ج ٥٤ شوال ١٤٢٩هـ

- (ت ٣٤٥هـ) .
٥. أبو العباس محمد بن أحمد المعمر (ت ٣٥٠هـ) .
٦. أبو علي إسماعيل بن عيزون بن هارون القالي (ت ٣٥٦هـ) .
٧. أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الأمدي (ت ٣٧١هـ) . أبو علي الحسن بن علي بن أحمد بن عبد الغفار بن سلمان الفارسي (ت ٣٧٣هـ) .
٨. أبو جعفر أحمد بن إسماعيل النحاس (ت ٣٨٣هـ) .
٩. أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرمانى (ت ٣٨٤هـ) .

ثانياً : مؤلفات (٣٨) :

لقد كان الزجاج - رحمه الله - متعدد المواهب ، جمع بين رجلة العقل وغذارة العلم وتنوع الثقافة ؛ لهذا جاءت كتبه متنوعة تنوع علمه ، فمن تفسير إلى لغة عروجاً بال نحو ومروراً بالصرف غير غافل

الأدب وموسيقى الشعر والنوادر . ولو كان الزجاج أديباً أكثر منه لغويًا ، لو صلت إلينا معظم مؤلفاته إن لم تكن جميعها ؛ حيث إن الأدب قرين الشعور ، والشعور جزء من النفس ، ولكن ، تأتي الرياح بما لا تستهوي السفن ! حيث اهتم الزجاج بالناحية اللغوية التقريرية ، وبدا هذا في كتبه واضحاً ، فعدمنا الكثير من كتبه ، ولكن لطف الله أحاط بفكرة هذا العالم المغوار ، فلم يجعله مطية النسيان ؛ حيث وصل إلينا تفسيره الظاهر "معاني القرآن وإعرابه" ، والذي فيه أودع خلاصة فكره ، وعلى

(٢٨) راجع : الفهرست : ص ٢٧ ، ٢٦ ، وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : حاجي خليفة ، ص ٧٢٣ ، ١٣٩١ ، ١٣٩٩ ، ١٤٢٨ ، ١٤٣٨ ، ١٤٤٦ ، ١٤٤٧ ، ١٤٥١ ، ١٤٥٩ ، ١٤٥٩هـ ، وتاريخ الأدب العربي : كارل بروكلمان ٢ م ١٧٢ ، ١٧٣ ، و تاريخ التراث العربي : فؤاد سزكين ، ترجمة د/ عرفة مصطفى ، المجلد الثامن ، الجزء الأول ، ص ١٦٦ - ١٧٢ ، أشرف على طباعته ونشره : إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، سنة ١٤٠٨هـ .

أكتوبر ٢٠٠٨م

٦٠/٦٠

٤٢ - ج ٥٤ شوال ١٤٢٩هـ

٢٠. المثلث (٤١) .

٢١. تفسير أسماء الله الحسني (٤٢) .

ثالثاً : بصمات في كتب الفالفيين :

لقد كان للزجاج - رحمة الله - بصمات واضحات في فكر كل من جاء بعده من العلماء حتى لا نكاد نجد مرجعاً محترماً يعتمد عليه سواء في التفسير أم اللغة أم النحو إلا وجدنا ذكرًا فيه للزجاج ، حيث النقل عنه أو التشيع بأفكاره !!

فمثلاً لو تصفحنا تفسيراً كالبحر الاحيط : لأبي حيان ، أو إعراب القرآن : للنحاس ، وأيضاً لو طالعنا كتاباً كالفصل : لابن يعيش ، أو الخصائص : لابن جنّي ، أو معنى اللبيب : لابن هشام ، أو همع الهوامع : للسيوطى - لو جدنا مئات بلآلاف النقول عن الزجاج ! (٤٣) .

ناهيك عن المعاجم اللغوية ، مثل : تهذيب اللغة : للأزهرى ، والمخصص : لابن سيله ، ولسان العرب : لابن منظور ، وغيرهما ؛ فلقد نهلت من كتب الزجاج نهلاً ، بل واعتمد بعضها بعضاً علىه

(٤١) حققه الدكتور سليمان بن إبراهيم العبد ، ونشرته ضمن ثلاثة كتب في المثلثات مجلـة جـامـعـة أـمـ القـرىـ بـجـكـةـ المـكـرـمـةـ : السـنةـ الثـالـثـةـ ، العـدـدـ الرـابـعـ ، العـاـمـ ١٤١١ـهـ ، صـ٥١ـ - ٧٣ـ .

(٤٢) قام بتحقيقه أحد يوسف الدقاد ، ونشرته دار المأمون للتراث بدمشق سنة ١٤٠٦ـ .

(٤٣) لمزيد من التفصيل راجع : الزجاج وأثره في النحو والصرف : هدى محمود فراعة ، ١٤٧ ، ١٤٦ وما بعدها (رسالة ماجستير مخطوطة محفوظة بـمكتبة كلية الآداب - جامعة عين شمس تحت رقم ١٦٧) .

أكتوبر ٢٠٠٨

٦٣/٦٣

٤١٤٢٩ شوال ٢٤ - ج ٤

١١. ما ينصرف وما لا ينصرف ، أو "سر النحو" (٣٥) .

١٢. كتاب مختصر في النحو .

١٣. كتاب "شرح أبيات سبيويه" .

١٤. كتاب الشجرة المسمى بكتاب التقرير (٣٦) .

١٥. كتاب الإبابة والتفهم عن معنى **«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»** (٣٧) .

١٦. كتاب المقصور والمددود .

١٧. المؤخذات على الفصيح لشعب ، أو "الرد على ثعلب في الفصيح" (٣٨) .

١٨. كتاب الاستيقاظ (٣٩) .

١٩. كتاب الألفاظ (٤٠) .

(٤٥) قالت بتحقيقه الباحثة : هدى محمود فراعة ، في رسالتها للماجستير ، ثم قامت بنشره مطبوعاً في كتاب يحمل (ما ينصرف وما لا ينصرف) - لجنة إحياء التراث الإسلامي بالجلس (٣٦) هكذا حمله بروكلمان في كتابه الأعلى للشؤون الإسلامية ١٣٩١هـ .

تاريخ الأدب العربي : ١٧٣/٢ ، بل وانفرد من بين من ترجم للزجاج بإضافة الكتاب المذكور إلى قائمة كتبه !

(٣٧) قام بتحقيقه د/ محمد السيد علي بلاسي ، ونشرته دار التراث الإسلامي ١٩٩٩م .

(٣٨) ينظر : كتاب الإبابة والتفهم (مقدمة التحقيق) هامش ٢١ ؛ تجد مزيداً من الدفءة !

(٣٩) وقد كان موجوداً قبل خمسة قرون خلت ، حيث اقتبس منه السيوطى في المزهر ، كما ساق ياقوت الحموي مؤخذات عليه "من

بعض العلماء" في كتابه : (معجم الأدباء) ، ينظر : المزهر ١ / ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ومعجم الأدباء : ١ /

(٤٠) بمطالعة صورة من هذا المخطوط ، أهدتها إلى الصديق أ. د. محمد بن شريفة - حافظ الخزانة العامة بالرباط - ، أثناء زيارتي للملكة المغربية ، وجدت عنوانه :

(عملة الكتاب) ، وهو الأقرب : لا نسجنه مع محتوى الكتاب ، وأقوم اليوم بتحقيقه .

٤ - ج ٤ شوال ١٤٢٩

أكتوبر ٢٠٠٨

٦٢/٦٢

اعتماداً كبيراً، وبخاصة في المسائل الاستئقانية، تلك التي عرف بها الزجاج!

ولو تبعنا معجماً كـ "لسان العرب" - مثلاً - والذي يعد من أفضل المعلم العربي وأثرها مادة وأكثرها ذيوعاً - لوجدنا أنه قلماً نجد مادة عنده إلا وجدنا فيها نقاً عن الزجاج! ما سبق؛ فإني أستطيع - وبدون مبالغة - أن أقول: نظراً لثقافة الزجاج العالية وتملّكه من ناصية اللغة، فضلاً عن قيمة كتبه الكبيرة، إلى جانب تفرده - في بعض الأحيان - بلمح لغوية جليلة، فإن كتبه تكاد تكون جميعها قد فرغت في كتب من جاء بعده من العلماء!

ولا عجب؛ فلا يكاد يخلو مرجع لغة محترم من آراء الزجاج ونقول عنه!

وإن كانت يد الزمان قد خلت علينا ببعض كتب الزجاج النفيسة، إلا أنه - لقيمتها الغالية - وصلتنا مبثوثة - عبر حلقات الزمان - في كتب الخالفين !!

وفاته (٤٤): تكاد تجمع كتب التراث على أن الزجاج - رحمه الله - توفي في بغداد، وقد أناف على الثمانين عاماً.

ويذكر أكثر أصحاب التراث أن الزجاج توفي في جمادى الآخرة سنة ٣١١هـ الموافق سبتمبر سنة ٩٢٣م، وهو الرأي المشهور.

كما يروى أن آخر ما سمع عنه عندما حضرته الوفاة: "اللهم احرسني على مذهب أحمد بن حنبل!" (٤٥).

رحم الله الزجاج، وأسكنه فسيح جناته مع الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

(٤٤) راجع: معجم الأدباء: ١ / ١٣٠ ، والفهرست: ص ٦٦ ، وتاريخ الأدب العربي ٢ /

١٧ ، وطبقات النحويين واللغويين: ص ١١٢ وكشف الظنون: ص ١٣٩١ ، ١٣٩٩ ، ١٤٢٨.

(٤٥) انظر معجم الأدباء: ١ / ١٣٠ .

في المال حق سوى الزكاة

بِقَلْمِ الْأَسْتَاذِ أَشْرَفِ شُعْبَانَ أَبْوَ أَحْمَدَ
(مُهَرَّبَةُ مَصْرُ الْعَرْبِ)

الزكاة هي الحق الواجب في المال ، متى قامت بحاجة الفقراء ، وسدت خلة المعوزين البائسين ، وأطعمتهم من جوع وآمنتهم من خوف ، أما إذا لم تكف الزكوة ، ولم تف بحاجة المحتاجين ، وجب في المال حق آخر سوى الزكوة ، وهذا الحق لا يتقييد ولا يتحدد إلا بالكافية ، فيؤخذ من مال الأغنياء القدر الذي يقوم بكفاية الفقراء ، قال رسول الله ﷺ (إِنَّ فِي الْمَالِ حَقًا سَوْيَ الزَّكَاةِ) تم تلا هذه الآية **﴿لَيْسَ الْبَرُّ إِنْ تُؤْلِمُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبَرُّ مَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حِبَّهِ ذُوِّي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾** (سورة البقرة الآية ١٧٧) أخرجه ابن ماجة في سننه والترمذني في جامعه (١) وقد ذهب عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وأبو ذر الغفارى وعائشة وابن عمر وأبو هريرة والحسن بن علي وفاطمة بنت قيس من الصحابة رضي الله عنهم ، إلى أن في المال حقاً سوى الزكوة ، استناداً إلى هذه الآية الكريمة ، فقد جعلت هذه الآية من أركان البر إيتاء المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل الخ ، ثم عطفت على ذلك إقامة الصلاة وإيتاء الزكوة ، والعطف كما هو معلوم يقتضى المغايرة ، فدل ذلك على أن إيتاء المال غير إيتاء الزكوة ، فالإيتاء الأول **﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حِبَّهِ﴾** المراد به ما فوق النسبة المقدرة في الزكوة ، بدليل أنه ذكر بعده ، كلمة الزكوة في الإيتاء الثاني **﴿وَأَقامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾** بجانب الصلاة ، قال القرطبي : استدل من

(١) فقه السنة السيد سابق ج ١ ص ٤١٦

عن صلاتهم ساهون * الذين هم يراؤن * ويمنعون الماعون (سورة الماعون الآيات ٧-٨)، وقد روى أبو داود عن عبد الله بن مسعود، قوله: كنا نعد الماعون على عهد رسول الله ﷺ، عارية الدلو والقدر، ومعنى هذا إعارة هذه الأشياء الصغيرة التي يحتاج إليها الجيران بعضهم من بعض واجبة، لأن مانعها مذموم مستحق للويل، كالساهي عن الصلاة المرائي، ولا يستحق المكلف الويل إلا على ترك واجب، وإذا ثبت أن إعارة هذه الأشياء واجبة وهي غير الزكاة قطعاً، فقد ثبت أن في المال حقاً سوى الزكوة (٥) وفي النصوص الجمة، التي أوجبت التعاون والتكافل والتراحم بين المسلمين، وفرضت إطعام المسكين والحضر عليه، وجعلت ذلك من ثمرات الأخوة، ومقتضيات الإيمان والإسلام، كقوله تعالى «وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعذوان» (سورة المائدة الآية ٢)، وقوله تعالى في وصف المؤمنين (رحماء بينهم) آخر سورة الفتح، وفي بيان العقبة التي على كل إنسان أن يجتازها لينال مثوبته الله، ويكون من أصحاب الميمنة، في قوله تعالى «فلا اقتحِم العقبة * وما أدرك ما العقبة * فك رقبة * أو إطعام في يوم ذي مسْبَغَة * يتيمًا مقربيه * أو مسكيناً ذا مُتَرَبَّة * ثمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبَرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمةِ * أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ» أواخر (سورة البلد)، وقوله عز وجل «وَاتَّدَ الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ» (سورة الإسراء الآية ٢٦)، وقال سبحانه وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَعْلَمُ «وَيَأْلُو الَّذِينَ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبُ وَالصَّاحِبِ بِالْجُنُبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» (سورة النساء الآية ٢٦)، وقوله تعالى «أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِاللَّدِينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتَمَ * وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ» سورة الماعون، وقوله في أسباب دخول المجرمين في سفر قالوا لَمْ نَكْ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكْ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (سورة المدثر الآيات ٤٣ - ٤٤) وفي شأن من أُوتِي كتابه بشماله فاستحق الحرج والعذاب الأليم «إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ * وَلَا يَحْضُرُ عَلَى

(٥) فقه الزكوة دراسة مقارنة لأحكامها وفلسفتها في ضوء القرآن والسنة: يوسف القرضاوي ج ٢ ص ٩٦٩ و ٩٧٨.

قل: إن في المال حقاً سوى الزكوة، يقول الله تعالى «وَاتَّى الْمَالَ عَلَى حَبِّهِ» وقوله عز وجل «وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَاتَّى الزَّكَةَ» يدل أن المراد بقوله «وَاتَّى الْمَالَ عَلَى حَبِّهِ» ليس الزكاة المفروضة (٢) وقد كان أبوذر الغفاري رضي الله عنه يستدل بهذه الآية على وجوب إنفاق ما زاد عن الحاجة، وسي هذا الزائد كثراً يعاقب كأنزوه (٣) وفي قوله تعالى عن سورة الأنعام آية ١٤١ «كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَاتَّوْا حَقَهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ» إشارة إلى أن الحق المأمور به في هذه الآية هو شيء غير الزكوة، وذلك من علة وجوهه: أولها أن الآية مكية نزلت قبل فرض العشر في المدينة، ثانياً أنها أن المطلوب فيها إيتاء حق الشهري يوم حصاده، وهذا لا يتأتى في زكاة العشر، لأنه إنما يخرج بعد التصفية والتنفيذ، ليعرف مقدار الحاصل ثم يخرج. عشره أو نصف عشره، ثالثها قوله تعالى «وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ» بحسب عصره، لأنها محدونة بتقدير الشارع، وليس لأحد أن ولا إسراف في الزكوة، لأنها محدونة بتقدير الشارع، وهو ابن حزم: فإن قيل : فما هذا الحق ينقص منها أو يزيد فيها ، قال ابن حزم : نعم هو حق غير الزكوة ، وهو أن يعطي المفترض في الآية ؟ قلنا : نعم هو حق غير الزكوة ، وهذا ظاهر الحاصل حين الحصد ما طابت به نفسه ، ولا حد في ذلك ، هذا ظاهر الآية ، وهو قول طائفة من السلف ، لهذا جاء عن ابن عمر في تفسير هذا الحق : كانوا يعطون شيئاً سوى الزكوة ، قال ابن كثير : وقد ذم الله سبحانه الذين يصرمون ولا يتصدقون ، كما ذكر عن أصحاب الجنة في سورة القلم ، والذي يعني هنا أن أصحاباً جليلاء كابن عمر وجماعة من فقهاء التابعين مثل عطاء ومجاهد والنخعي وغيرهم ، يأخذون من هذه الآية دليلاً على أن في المال حقاً سوى الزكوة (٤) وما جاء في القرآن الكريم ، من الوعيد بشأن الذين يمنعون الماعون ، دليل على أن في المال حقاً سوى الزكوة ، قال تعالى «فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ

(٢) فقه الزكوة دراسة مقارنة لأحكامها وفلسفتها في ضوء القرآن والسنة: يوسف القرضاوي ج ٢ ص ٩٦٩ و ٩٧٨، وإسلام لا شيوعية: عبد المنعم النمر ص ٢٨٥.

(٣) إسلام لا شيوعية عبد المنعم النمر ص ٢٨٥.

(٤) فقه الزكوة دراسة مقارنة لأحكامها وفلسفتها في ضوء القرآن والسنة: يوسف القرضاوي ج ٢ ص ٩٧١ و ٩٧٢.

طعام المساكين» (سورة الحاقة الآيات/ ٢٢ - ٢٣) ، كل هذه الآيات السابقة تدل على أن في المال حقاً سوى الزكوة (٦) وفي (سورة الشورى الآيات/ ٣٦) قَالَ تَعَالَى ۝ فِيمَا أُوتِيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ * وَالَّذِينَ إِسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقَنَا هُمْ يَنْفِقُونَ» وقد اختلف المفسرون في تحديد المراد من ذلك الإنفاق ، فقيل هو الزكوة المفروضة ، ويرى هذا عن ابن عباس ، لقرن الإنفاق بإقامة الصلاة ، وقيل هو صدقة التطوع ، وروي هذا عن الصحاх ، نظراً إلى أن الزكوة لا تأتي إلا بلفظها المختص بها ، وقيل هو النفقة على الأهل والعيل ، وقيل هو عام يشمل ذلك كله ، وهذا هو الصحيح الذي ينبغي أن تفهم الآيات في ضوئه ، فالأمر أوسع وأعم من زكاة الفريضة أو صدقة التطوع أو النفقة على الأهل (٧) كما أن الإسلام قد فرض على المسلمين ، الجهاد في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، في مثل قوله تعالى «انفروا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ في سَبِيلِ اللَّهِ» (سورة التوبة الآية/ ٤١) «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَأُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ في سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكُمُ الصَّادِقُونَ» (سورة الحجرات الآية/ ١٥) «وَأَنْفَقُوا فِيهِ سَبِيلَ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» (سورة البقرة الآية/ ١٩٥) ، ولا شك أن الجهاد بالمال المأمور به واجب آخر غير فريضة الزكوة ، ومن حق أولي الأمر في المسلمين أن يحددوه ونصيب كل فرد قادر من عبء الجهاد بالمال (٨) .

كما جاءت علة أحاديث صحيحة تدل على أن في المال حقاً

(٦) فقه الزكوة دراسة مقارنة لأحكامها وفلسفتها في ضوء القرآن والسنّة : يوسف القرضاوي ج ٢ ص ٩٧٩ و ٩٨٠ .

(٧) فقه الزكوة دراسة مقارنة لأحكامها وفلسفتها في ضوء القرآن والسنّة : يوسف القرضاوي ج ٢ ص ٨٦٠ .

(٨) فقه الزكوة دراسة مقارنة لأحكامها وفلسفتها في ضوء القرآن والسنّة : يوسف القرضاوي ج ٢ ص ١٠٧٧ .

سوى الزكوة ، منها ما رواه النسائي عن جابر بن عبد الله ، قال رسول الله ﷺ (ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي حقها إلا وقف لها يوم القيمة بقاعة قرقر "أرض مستوية ملساء" تطؤه ذات الأظلاف بأظلافها وتنطحه ذات القرون بقرونها وليس فيها يومئذ جماء "لا قرن لها" ولا مكسورة القرن) قلنا : يا رسول الله وماذا حقها ؟ قال عليه الصلاة والسلام (إطلاق فحلها وإعارة دلوها وحمل عليها في سبيل الله) ومعنى إطلاق فحلها : إعارةه للضراب لا يمنعه من طلبه ، وإعارة دلوها لإخراج الماء من البئر لمن يحتاج إليه ولا دلو معه ، والحمل عليها في سبيل الله إركاب من لا رکوبة معه من الجاهدين ، ووجه دلالة هذا الحديث على المراد : أنه رتب الوعيد على منع الحقوق المذكورة ، فدل على أنها حقوق واجبة ، وهي حقوق أخرى غير الزكوة ، ولهذا قال ابن حزم : وفرض على كل ذي إبل وبقر وغنم أن يحلبها يوم وردها على الماء ، ويتصدق من لبنيها بما طابت به نفسه ، وقال أيضاً : ومن قال : إنه لا حق في المال غير الزكوة فقد قال الباطل ، ولا برهان على صحة قوله ، لا من نص ، ولا إجماع ، وكل ما أوجبه رسول الله ﷺ في الأموال ، فهو واجب ، وروى البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال (الخيل لرجل أجر ولرجل ستراً وعلى رجل وزر فأما الذي له أجر فرجيل ربطة في سبيل الله "اي للجهاد" إلى أن قال : ورجل ربطة تغيناً وتعففاً ثم لم ينس حق الله في رقبتها ولا ظهورها فهي لذلك ستراً ، ورجل ربطة فخرها ورياءً نواءً "أي مناؤة" لأهل الإسلام فهي على ذلك وزر) وعن أبي شريح أن رسول الله ﷺ قال (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته يوم وليلة والضيافة ثلاثة أيام فما كان بعد ذلك فهو صدقة) رواه مالك والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجة ، والأمر بإكرام الضيف يدل على الوجوب بدليل تعليق الإيمان عليه ، وبدليل جعل ما بعد الثلاثة الأيام صدقة ، وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال (أيما ضيف تزل بقوم فأصبح الضيف محروماً فله أن يأخذ بقدر قراه ولا حرج عليه) رواه أحد ورواته ثقات والحاكم وهذان الحديثان يدلان ، دلالة واضحة على أن للضيف الطارق حقاً أكيداً في مال أخيه المسلم الذي أضافه ، ويجب على الجماعة معاونته ونصره حتى يأخذ هذا الحق المؤكد ، وواضح أن هذا الحق شيء غير

الزكاة، لأن الزكاة إنما تجب في وقت خاص عند الحول أو الحصاد ونحو ذلك ، والضيف يطرق في أية ساعة (٩) وقال النبي عليه الصلاة والسلام (إذا بات مؤمن جائعاً فلا مل لأحد) (١٠) وعن رسول الله أنه قال (من لا يرحم الناس لا يرحمه الله) ومن كان على فضله "أي زيادة عن الحاجة" ورأى المسلم أخيه جائعاً عرياناً ضائعاً فلم يغثه ، فمارحه بلا شك ، وعن عثمان النهدي : أن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق حدثه : أن أصحاب الصفة كانوا ناساً فقراء وأن رسول الله قال (من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس أو سادس) وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن رسول الله أنه قال (من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من زاد على من ذكر ، حتى رأينا أنه لا حق لأحد منها) قال : فذكر من أصناف المال ما ذكر ، ومن طريق أبي في فضل ، وهذا إجماع الصحابة رضي الله عنهم ، وعن النبي قال (أطعموا الجائع موسى الأشعري رضي الله عنه "أي الأسير") وقل عمر رضي الله عنه : "وعودوا المريض وفكوا العاني "أي الأسير" وفروعها

لو استقبلت من أمري ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء ، فقسمتها على فقراء المهاجرين ، وقال علي رضي الله عنه : إن الله تعالى فرض على الأغنياء في أموالهم بقدر ما يكفي فقراءهم ، فإن جاعوا ، أو عروا ، وجهدوا فيما ينفع الأغنياء ، وحق على الله تعالى أن يحاسبهم يوم القيمة ، ويعذبهم عليه (١١) جاء رجل من نبي تميم إلى النبي ، فقال يا رسول الله : أنا رجل ذو مل كثير ، وأهل وحاضرة ، فأخبرني كيف أنفق؟ وكيف أصنع؟ قال عليه الصلاة والسلام (نخرج زكاة مالك فإنها طهرة تطهرك وتصل أقاربك وتعرف حق السائل والجاري والمتسكين) رواه أحمد عن انس ، فجعل للسائل والجاري والمتسكين حقاً بعد الزكوة ، كما عطف صلة الأقارب على الزكوة ، وهذا موافق لما جاء

(٩)) فقه الزكوة دراسة مقارنة لأحكامها وفلسفتها في ضوء القرآن والسنة : يوسف القرضاوي ج ٢ ص ٩٨٩ و ٩٩٠ .

(١٠) لا للفرق في ظل القرآن : أحمد سعيد ص ٨٩ .

(١١) فقه السنة السيد سباق ج ١ من ص ٤١٩ إلى ص ٤٢١ .

٤ - ج ٥٤ شوال ١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨ م أكتوبر

في القرآن «وَاتِّيَ الْقُرْبَى حَقُّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلَ» وموافق لما جاء في الحديث (للسائل حق وإن جاء على فرس) رواه أحمد ، وقال (لن تؤمنوا حتى تراهموا) قالوا : رحيم يا رسول الله كلنا ، قال (إنها ليست برحمة أحدكم صاحبه ولكنها رحمة العامة) رواه الطبراني عن أبي موسى ، ورواته رواة الصحيح (١٢) يقول النبي (المسلم أخو المسلم لا يخذله ولا يسلمه) رواه البخاري ، فإذا تركه فريسة للفقر والجوع فقد خذله وأسلمه : أي هزمه ودفعه إلى اليأس والمرض وارتكاب المحظور (١٣) وقد صور الرسول (١٤) بأحاديثه حقيقة المجتمع الإسلامي ومبلغ تكافله وترابطه وتضامنه ، فقال (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه ببعض) متفق عليه ، فليس المجتمع المسلم لبناء منفصلة متفرقة ، وبعبارة أخرى ليس أبناء الإسلام أفراداً متناثرين ، كل منهم يعيش منفصلاً عن غيره ، بل (مثل المسلمين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكت منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهور) متفق عليه ، وقال النبي (ليس المؤمن من بات شبعان وجاره إلى جنبه جائع) رواه الطبراني والبيهقي وإسناده حسن (١٤) .

وصح عن الشعبي ومجاهد وطاووس وعطاء وغيرهم من التابعين ، كلهم يقول : في المال حق سوى الزكوة (١٥) كما اتفق العلماء على أنه نزلت بال المسلمين حاجة ، بعد أداء الزكوة ، فإنه يجب صرف المال إليها ، قال مالك رحمة الله : يجب على الناس فداء أسراههم ، وإن استغرق ذلك أموالهم ، وهذا إجماع ، قال الشيخ محمد عبده : في تفسير قوله تعالى «وَاتَّى الْمَالَ عَلَى حِبَّهُ» هذا الإيتاء غير إيتاء الزكوة ، وهو ركن من أركان البر ، وواجب كالزكوة ، وذلك حيث تعرض الحاجة إلى البذر ،

(١٢) فقه الزكوة دراسة مقارنة لأحكامها وفلسفتها في ضوء القرآن والسنة : يوسف القرضاوي ج ٢ ص ٩٨٩ و ٩٩٠ .

(١٣) الحقوق الإسلامية : طه عبد الله النفسي ص ٦٦ .

(١٤)) فقه الزكوة دراسة مقارنة لأحكامها وفلسفتها في ضوء القرآن والسنة : يوسف القرضاوي ج ٢ ص ٩٨٠ .

(١٥) فقه السنة السيد سباق ج ١ ص ٤٢١ .

ما يليق بالحال من شتاء وصيف ، ويلحق بالطعام والكسوة ما في معناها كأجرة طبيب ، وثمن دواء وخدم منقطع ، وقل النوي وغيره من الشافعية : وجوب إعانة الجنود النظاميين من غير مل الزكاة على الأغنياء إذا لم يكن في بيت المال ما يعطون منه ، وقل القرطبي : اتفق العلماء على أنه إذا نزلت المسلمين حاجة بعد أداء الزكاة يجب صرف حاجات الجندي إلى المال يكفيهم فلإمام إذا كان عدلاً أن يوظف على الأغنياء بما يراه كافياً لهم في الحال إلى أن يظهر مل في بيت المال (١٨) يقول الغزالى : وإذا خلت الأيدي من الأموال ، ولم يكن من مل المصالح ما يفي بمخراجات العسكر ، وخيف من ذلك دخول العدو بلاد الإسلام ، أو ثوران الفتنة من قبل أهل الشر ، جاز للإمام أن يوظف على الأغنياء مقدار كفاية الجندي ، لأننا نعلم إذا تعارض شرمان أو ضررمان ، قصد الشرع دفع أشد الضررين ، وأعظم الشررين ، وما يؤدبه كل واحد منهم "أي من الأغنياء" قليل بالإضافة إلى ما يخاطر به من نفسه وماليه لو خلت خطة الإسلام "أي بلاده" من ذي شوكة "أي حاكم قوي" يحفظ نظام الأمور ، ويقطع مادة الشرور (١٩) وصح عن أبي عبيدة بن الخراج وثلثمائة من الصحابة رضي الله عنهم أن زادهم فني ، فأمرهم أبو عبيدة ، فجمعوا أزواجهم في مزودين ، وجعل يقوهم إياها على السواء ، فهذا إجماع مقطوع به من الصحابة رضي الله عنهم ولا مخالف لهم منهم (٢٠) .

(١٨) فقه الزكاة دراسة مقارنة لأحكامها وفلسفتها في ضوء القرآن والسنّة : يوسف القرضاوي ج ٢ ص ٩٨٦ - ٩٨٧ .

(١٩) فقه الزكاة دراسة مقارنة لأحكامها وفلسفتها في ضوء القرآن والسنّة : يوسف القرضاوي ج ٢ ص ١٠٧٦ .

(٢٠) فقه السنّة السيد سابق ج ١ ص ٤٢١ .

في غير وقت أداء الزكاة ، وهو لا يشترط فيه نصاب معين ، بل هو على حسب الاستطاعة ، فهذا البند من غير مال الزكاة لا يتقييد بزمن ولا بامتلاك نصاب محدود ، ولا يكون المبذول مقداراً معيناً بالنسبة إلى ما يملك ككونه عشرًا أو ربع عشر أو عشر العشر مثلاً ، وإنما هو أمر مطلق بالإحسان موكل إلى أريحيّة المعطي وحالة المعطى ، قل ابن حزم : وفرض على الأغنياء من أهل كل بلد ، أن يقوموا بفقرائهم ، ويجبرهم السلطان على ذلك ، إن لم تقم الزكوات بهم ، ولا فيسائر أموال المسلمين بهم ، فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذي لا بد منه ، ومن اللباس للشتاء والصيف ، والشمس ، وعيون المارة (١٦) ويوضح المستوى الذي يجب أن تحدده الدولة للفقراء والذي يحق لها من أجله أن تخطى حدود الزكاة المفروضة فتجبى الأموال اللازمـة لتنفقها في هذا السبيل فيقول : يقام لهم بما يأكلون من القوت الذي لا بد منه ومن اللباس للصيف والشتاء بمثل ذلك ، وبمسكن يكتنفهم من المطر والصيف والشمس وعيون المارة ، ونستدل من كلام ابن حزم على حق الفقراء في أموال الأغنياء بصورة عامة غير محدودة بحدود الزكاة ، وأنه إذا لم تكف الزكاة لسد حاجات الفقراء والمساكن الضرورية للفقراء ، وتحقيق الأغذية الكافية لهم ، وتحقيق الملابس الضرورية (١٧) وقل الرملي في شرح المنهاج : ومن فروض الكفاية دفع ضرر المسلمين ككسوة عار وإطعام جائع ، إذا لم يندفع بزكاة وبيت مال ، على القادرين وهم من عنده زيادة على كفاية سنة لهم ولمونهم ، وهل المراد من دفع ضرر من ذكر : ما يسد الرمق أم الكفاية ؟ قولان أحدهما ثانهما ، فيجب في الكسوة ما يستر كل البدن على حسب

(١٦) فقه السنّة السيد سابق ج ١ من ص ٤١٦ إلى ص ٤١٩ .

(١٧) النظم المالية في الإسلام قطب إبراهيم محمد ص ٥٥ - ٥٦ .

ما سبق يتضمن أن الزكوة هي الحق الثابت وال دائم في المال ، وهو حق واجب الأداء ، ولو لم يجد فقير يستحق المعاونة أو حاجة تستدعي المساعدة ، فالفرد المسلم المالك للنصاب في الظروف العادلة لا يطالب بشيء في ماله غير الزكوة ، فإذا أداها فقد قضى ما عليه ، وليس عليه شيء آخر ، إلا أن يطوع ، فإذا لم يكن مال الزكوة كافيا لسد حواجز الفقراء والمساكين ، وعندما يتول المسلمين من البلاء ما يجعلهم في حاجة إلى المزيد من المال ، وجب في المال حق آخر سوى الزكوة ، وهذا الحق لا يتقييد ولا يتحدد إلا بالكافية ، ويجب على الأغنياء أن يساهموا بشيء من أموالهم لسد هذا الاحتياج طيبة به نفوسهم ، فإذا لم يفعلوا وجب على الحاكم أن يحملهم على ذلك ولو بالقوة كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عام الرمadaة ، وهو العام الذي أجدبت فيه الأرض ، وبخلت فيه السماء بعائدها ، وانتشر فيه الجوع انتشار مفجعا (٢١) بشرط أن توزع أعباؤها على الناس بالعدل ، بحيث لا يرهق فريق من الرعية لحساب فريق آخر ، ولا تحابي طائفة ويضاعف الواجب على طائفة أخرى ، بغير مسوغ يقتضي ذلك ، ولا يكفي أن تؤخذ بالحق ، وتوزع أعباءها على الناس بالعدل ، ما لم يتم صرفها في المصالح العامة للأمة ، لا في شهوات الحكام وأغراضهم الشخصية ، وفي ترف أسرهم وخاصتهم ، وفي رغبات أتباعهم والسائلين في ركبهم ، ولا يجوز أن ينفرد الإمام أو رئيس الدولة الأعلى فضلا عن نوابه وولاته في الأقاليم بفرض هذه الأموال ، وتحديد مقدارها ، وأنخذها من الناس ، بل لا بد أن يتم ذلك بمعرفة رجل الشورى وأهل الحل والعقد في الأمة (٢٢) .

(٢١) الحقوق الإسلامية ط عبد الله العفيفي ص ٦٦٣ .
 (٢٢) فقه الزكوة دراسة مقارنة لاحكمها وفلسفتها في ضوء القرآن والسنة : يوسف القرضاوي ج ٢ ص ١٠٨١ إلى ص ١٠٨٥ .

و ضح النهج

شرح قصيدة نهج البردة للأستاذ الأكبر الشيخ سليم البشري شيخ الأزهر
 (الحلقة التاسعة)

بقلم : الدكتور الأستاذ غريب جمعة
 (جدة - المملكة العربية السعودية)

(١١٣) ذكرت باليتيم في القرآن تكرمة
 وقيمة اللؤلؤ المكنون في اليتم

(١١٣) اليتم في الناس : فقد الأب وهو في الأشياء التفرد وعدم وجود نظائر لها واللؤلؤة اليتيمة التي لا نظير لها في العقد ، وذكرت باليتيم في القرآن : يشير إلى قوله تعالى **﴿أَلَمْ يَجِدُكَ يَتِيمًا فَأَوْي﴾** (الضحى الآية ٦) وحرك النساء اتباعاً لحركة النساء قبلها في قوله (اليتم) أو هو بالضم جمع "صفة" لموصوف مذوف أي أن قيمة الباقي المعتبرة في الباقي اليتم ولا يخفى ما فيه من حسن التعليل .

(١١٤) الله قسم بين الناس رزقهم
 وأنت خيرت في الأرزاق والقسم

(١١٤) روى الترمذى عنه قَالَ : عرض على ربي أن يجعل لي بطحاء مكة ذهباً فقلت لا يارب ولكن أجوع يوماً وأشع يوماً (*).
 وقل صاحب البردة في هذا المعنى :

(*) تكميلة الحديث : فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك وإذا شئت حمدتك وشكرتك (الترمذى / ٢٤٤٨) في الزهد ، باب ما جاء في الكفاف والصبر عليه وإسناده حسن ، وقل الترمذى هذا حديث حسن قَالَ : وفي الباب عن فضالة بن عبيد .

النَّبِيُّنَ (الأحزاب الآية/٤٠) وقل ﷺ : "أنا العاقب فلا نبي بعدي" (*) ويحتمل أن يكون خطاباً للرسول ﷺ لاستحضار صورته الكريمة كأنه حاضر فيخاطب ، فالشرط في قوله : فإن أُوتيت للتحقيق لا للشك نظير قوله تعالى **«إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ»** (البقرة الآية/١٧٢) وإن كنت ابني فافعل كذا .

فابعث من الجهل أي أحى قلوبها ميّة من الشرك بسبب جهلها والأمر في قوله فابعث على أن الخطاب للنبي ﷺ بمعنى الخبر . والمعنى : وإذا أعطيت معجزة فسواء إحياءك القلوب أي إنقاذه لها من ظلمات الجهل والشرك وإحياءك الموتى ، والأولى أعظم وأنفع ، والرجم : القبر .

(١١٨) قالوا غزوت ورسل الله ما بعثوا

لقتل نفس ولا جاؤ لسفك دم

(١١٨) يشير في البيت إلى مقالة بعض المتكلمين من أهل الأديان الأخرى من أن الحرب والقتل وسفك الدماء ليست مدخله الأنبياء الذين ما بعثوا في الناس إلا لتقرير سعادتهم ، وأي سعادة أبلغ من أن تكف دماءهم وتعصّم نفوسهم ، وعدوا عليه غزواته ﷺ وأسرفوا في هذا الباب وألحوا على أسماع الناس بأمثال هذه الأقوال حتى صوروا رسالته للجاهلين سيفاً مرهفاً "ينطف دماً ويسيل مهجاً" .

(*) الحديث بتمامه : عن جبير بن مطعم ﷺ قال : قل رسول الله ﷺ : "لي خمسة أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الملحي الذي يمحو الله به الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب" والعاقب الذي ليس بعده نبي وقد سمه الله رؤوفاً رحيمًا" متفق عليه ، (روايه البخاري ٤٠٤/٦ في الأنبياء ، باب ما جاء في أسماء النبي ﷺ ، وفي تفسير سورة الصاف ، ومسلم في الفضائل ، باب في أسمائه ﷺ) .

وراودته الجبال الشم من ذهب
عن نفسه فأراها أيماماً شم

وفي البيت جناس .
(١١٥) إن قلت في الأمر لا أو قلت فيه نعم

فخيره الله في "لا" منك أو "نعم"

(١١٥) وكيف لا وقد أُوتى ﷺ من كمال العقل وتمام الرشد وصحّة الرأي وبعد النظر نفوذه في بواطن الأشياء وإصابته أعقابها ما لم يؤتّه مخلوق قبله ولا بعده ، هذا إلى عصمة الله تعالى له وتوفيقه إياه وإلهامه الصواب في القول والعمل ، وحرك الميم في قوله (نعم) لضرورة القافية .

(١١٦) أخوك عيسى دعا ميّتاً فقام له

وأنت أحيايت أجيالاً من الرم

(١١٦) الأجيال : جمع جيل وهو الصنف من الناس ، الرم جمع رمة وهو العظام البالية شبه الإيقاظ والتتبّه من الغفلة بالإحياء ، لجامع ما به المنفعة واستئثار الإحياء لإيقاظ القلوب وإخراجها من ظلمات الجهل على سبيل التعبية .

(١١٧) والجهل موت فإن أُوتيت معجزة

فابعث من الجهل أو فابعث من الرجم

(١١٧) والجهل موت كالترشيح للاستعارة في البيت السابق وهو تشبيه بلغ ، أُوتيت : خطاب لغير معين على حد قوله تعالى **«وَإِذَا رَأَيْتَ أَمَّ رَأَيْتَ نَعِيْمَاً وَمُلْكًا كَبِيرًا»** (الإنسان الآية/٢٠) أي يامن يتّأتي أن تجري على يديه معجزة ، وهو كالاستدلال على البيت قبله وإلا فأمر الوحي قد ارتفع فلا تقع بعد رسول الله ﷺ معجزة ، قال تعالى **«وَخَاتَمَ**

(١١٩) جهل وتضليل أحلام وسفسطة
فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم

ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علقة * أقرأ ورَبُّك الأكرم *
الذي عَلِمَ بالقلم * عَلِمَ الإنسان مَا لَمْ يَعْلَمْ (العلق الآية/٥-٦).
فكان ذلك إشارة إلى أن دعوته ستقوم على الحجة والبرهان
وقد كان ذلك فهدي الله من هدى، وج أهل العنت في بغيهم وعثوهم
وسلوا في وجه الدعوة سيفوهم فنزلت بعد ذلك آيات الجهاد.
إذا شئت نازيت أمرء السوء ما نزا
إليك ولاطمت اللثيم الملطما
(١٢٠) لما أتى لك عفواً كل ذي حسب
تكفل السيف بالجهل والعم
(١٢٠) العم : اسم جمع للعامة.

بين في هذا البيت أن أهل العقل والإدراك وذوي الأحساب
والأنساب من هدى الله لم يفتقر الأمر فيهم إلى استعمال السيف بل
سلمت عقوتهم للحجفة والبرهان وبادروا إلى طاعة الله من غير حرب
ولا قتال بخلاف أهل الجهل والعناد الذين لم يكن لينفع فيهم غير
القوة المادية فإنها السبيل الوحيد لإذعانهم وتسليمهم وعدم وقوفهم
في وجه الحق وتعرضهم بالسوء للدعوة إليه.

(١٢١) والشر إن تلقه بالخير ضقت به
ذرعاً وإن تلقه بالشر ينحسم
(١٢١) أجرى المثل في هذا البيت تبياناً للحجفة القائمة في الأبيات قبله
من أن غزواه كانت لخير الناس لا لشرهم وأنها كانت مما تقتضي
الحكمة الإلهية في مصلحة العباد لتقويم أمر معاشهم ومعادهم وأنه
لو تركهم يسرفون في الباطل ويبغون على الحق ويفرطون على أهله

وقد أشار بقوله : "فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم" إلى أن

ولم يقابل طفانهم عليه وعلى أصحابه بالباس والشلة لاستطار شرهم ولما قامت للدين وأهلها بعد ذلك قائمة .

وكنت إذا قوم رموني رميتم
فهل أنا في ذا يا همدان ظالم

متى تصحب القلب الذكي وصارماً
 وأنفاص حميأ تجتنب المظالم
وقوله بالشر أي بالقوة والباس وسماه شرًا مشاكلاً قال تعالى

(وجرَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةً مِثْلُهَا) (الشورى الآية/٤٠) .

(١٢٢) سل المسيحية السمحاء كم شربت

بالصاب من شهوات الظالم الغلم
السمحاء : الوارد في كتب اللغة : السمححة وهي التي لا ضيق
الزمان وتشيع لهم أحد القياصرة ليتخذهم عذته في إقامة ملكه
فيها ولا شدة ، قال ﷺ "بعثت بالخنفية السمحاء" (١) الغلم : الهائج
الثائر الشهوة .

(١٢٣) طريله الشرك يؤذيها ويوسعها
في كل حين قتالاً ساطع الحدم
الحمد : بالتحريك شلة احتراق النار .

(١٢٤) لولا حمة لها هبوا لنصرتها
باليسيف ما انتفعت بالرفق والرحم
الرحم : الرقة والمغفرة .

لم يكن استعمل القوة في إقامة الدعوة للدين الإسلامي وحله

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير ، للإمام المناوي الجزء الثالث ، حرف الباء
المولحة ، السمححة : أي الشريعة المائلة عن كل دين باطل ، قال ابن القيم - يرحمه الله
- جمع بين كونها حنفية وكونها سمححة فهي حنفية في التوحيد سمححة في العمل .

وهذه هي الديانة المسيحية الموصوفة بديانة الرهبنة والسلام لم تبدأ الدعوة إليها حتى أصاب أهلها ما أصابهم من الطرد والقتل والتعذيب والتشريد والتمثيل بأيدي الجباررة الطفة من الملوك والقياصرة ، بل بأيدي الشعوب والأمم وتاريخ المسيحية بين أهل رومية مما تشيب له الولدان ، وكان أقل عذاب يصبوه على أهل هذه الديانة هناك : طرحهم بين الحيوانات المفترسة من الأسود والنمور تمرق أسلاءهم وهم قيام ينظرون ، حتى اضطرب المسيحيون إلى اتخاذ سراديب في جوف الأرض لكيلا تناهم العيون ولا تدركهم أبيدي الطغاة الظالمين ، على أنهم إذا ظهروا للناس بالغوا في كتمان أمرهم وتعرف الواحد منهم إلى أخيه بإشارات خاصة جعلوها سراً بينهم ، ودامت بهم الحال على هذا العذاب الشديد فرونًا حتى فشوا بحكم (١٢٢) السمحاء : الوارد في كتب اللغة : السمححة وهي التي لا ضيق الزمان وتشيع لهم أحد القياصرة ليتخذهم عذته في إقامة ملكه وتوسيع نطاقه وجعل منهم جيوشه ورمي بهم عدوه ومقاتله ، فحاربوا تحت لواءه مستبسلين جراء يده عليهم ففتحوا الفتوح وملكوا الشعوب فانتشر في ذلك العهد الدين المسيحي وشاع في كثير من بقاع الأرض ، فترى الدين المسيحي دين الرهبنة والسلام ما دخل البلاد إلا على رؤوس الأسنة ولا حمل إلى الأمم إلا على متون السيوف ، فذلك قوله : لولا حمة لها (البيت) .

(١٢٥) لولا مكان لعسى عند مرسله

وحرمة وجبت للروح في القدم

(١٢٥) مكان بمعنى القرب وارتفاع المنزلة لأن الله تعالى مenze عن المكان والجهة ، وجبت : ثبتت له من القدم لأن الله تعالى علم الأشياء وأرادها أولاً فصارت واجبة بمعنى أنها لا تتختلف أبداً .
والخبر محذوف في قوله : مكان وحرمة أي ثابتان .

- (١٢٦) لسمّر البدن الطهر الشريف على لو حين لم يخش مؤذنه ولم يجم رجوب الشرط في البيت السابق، الطهر الطاهر من أدران المعاشي، ووصف بالمصدر مبالغة، اللوحان: الصليب الذي أعد له عليه السلام والمراد بالتسمير الصلب، لم يحيى: لم يفزع.
- (١٢٧) جل المسيح وذاق الصلب شأنه إن العقاب بقدر الذنب والجرم
- (١٢٧) جل المسيح: على تقدير المضاف أي قدره لأن الجحالة لا تنسب للذات مطلقة إلا الله تعالى أي أنه عليه السلام تنزعه عما رماه به اليهود من كاذب التهم وباطل الأقوايل وعما زعموا من أنهم صلبوه وقتلوه **(ومَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شَبَهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِّنْ عِلْمٍ إِلَّا اتَّبَاعَ الظَّنَّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا)** (النساء الآية/١٥٧,١٥٨) شأنه: مبغضه، وحرك الراء في قوله والجرم اتباعاً لحركة الجيم قبلها.
- (١٢٨) أخو النبي وروح الله في نزل فوق السماء ودون العرش محترم
- (١٢٨) أخو النبي: أي في الرسالة، روح الله أي روح منه، قال تعالى **(إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرِيمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرِيمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ)** (النساء الآية/١٧١).

وسمى روحًا لإحياءه الموتى بإذن الله ولأنه نفحة من جبريل قد تعلق: **(فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا)** (الأنبياء الآية/٩١) ونسبة النفح إلى الله تعالى مجاز، ومن في الآية للابتداء، فوق السماء: أي السماء الدنيا، محترم: صفة لقوله نزل بضمتين وهو في الأصل المنزل وما هي للضيف أن ينزل فيه.

(١٢٩) علمتهم كل شيء يجهلون به حتى القتال وما فيه من الذم

(١٢٩) الذم: جمع ذمة وهي العهد والأمان والحق.

رجوع إلى خطابه **ﷺ**، والضمير في قوله علمتهم لمن هداهم الله تعالى للإيمان المشار إليهم في البيت السابق بقوله: "وأنت أحبت أجيالاً من الرمم".

لم يكن أحد أوفي من رسول الله **ﷺ** بعهد ولا أرعى منه لذمة ولا أحفظ حرمة، وقد جاء الدين الحنيف بهذا، وتشدد فيه وأكثر من الوصية به، قال تعالى **﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُلًا﴾** (الإسراء الآية/٣٤) وقل تعالى **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُهُودِ﴾** (المائدة الآية/١)، قال بعض أئمة التفسير: ومن جلتها العهد والأمان بيننا وبين غيرنا.

روى الشيخان عنه **ﷺ** قال: "أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كان فيه خصلة منها كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا حدث كذب وإذا اتمن خان وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر" **(١)** متفق عليه.

وقال **ﷺ**: "لكل غادر لواء يعرف به يقال: هذه غدرة فلان بن فلان" **(٢)** متفق عليه.

(١) رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، ٨٤/١، ومسلم في الإيمان، باب بيان خصل المنافق، ٥٨.

(٢) الحديث رواه البخاري عن عبد الله بن عمر، كتاب الجهد، باب إثم الغادر ٤٦٤/١٠، ومسلم في الجهد، باب تحريم الغدر (١٧٣٥)، غادر: من ينقض العهد، لواء: راية عظيمة، غدرة: مصدر مرة من الغدر.

وقل ﷺ : "ما نقض قوم العهد إلا كان القتل بينهم" (٣*). وقد صفت الله نفسه الكريمة من البغي والجبروت ، وملا قلبه الشريف عطفاً ورأفة حتى إنه ليدركه من الرحمة والرقة لأعدى عدوه أكثر مما بهذا من النعمة والضغف عليه ﷺ ، وما وضع سيفه إلا حيث اقتضت الحال ولم يكن بذلك لدفع المكره وكف البغة المتجررين الصادرين عن سبيله اللاجئين في صرف ما بعث به من الرحمة والسعادة للناس أجمعين ، فإذا حاربه أهل السطوة والعدوان كان الأمر واقفاً عند قراعهم وأخذهم بالسيف في معركة القتال ، فإذا قال تعالى : **«حتى إذا أثخنتموهُم فشلُّوا الوئاقَ فِإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْ زَارَهَا»** (محمد الآية/٤) .

كانوا يتقاسمون لمن أصابوا أصحابه ليقرن بطونهم وليلوكن بعودهم وقد فعلوا ذلك بما أصابوا من قتل المسلمين فإذا قامت الهيجة ووضع أصحابه السيوف فيهم قال ﷺ : "إذا قتلتكم فأحسنوا

(٣) الحديث : عن عبد الله بن بريدة رضي الله تعالى عنهما أنه قال : قل رسول الله ﷺ : "ما نقض قوم العهد إلا كان القتل بينهم ولا ظهرت فاحشة في قوم قط إلا سلط الله عليهم الموت (هل تعتبر هذه المدينة الرعناء بعد أن ظهر فيها وباء الإيدز الذي لا يُقي ولا يذر عقاباً للشواذ من أبنائها) ولا منع قوم الزكاة إلا حبس عنهم المطر" (أفيقوا يا من تجسون زكاة أموالكم حتى لا يستمر حبس المطر عنكم) ، (اكتشف الأستار بزوائد البزار ٤/١٠٤) رقم (٣٢٩٩).

وقل رواه ابن ماجة عن حديث ابن عمر وقل الهيثمي : رواه البزار ورجاله رجل الصحيح غير رجاء بن محمد شيخ البزار وهو ثقة (٢٦٩٧) .

القتلة" (٤*) .

فكان شأنه معهم في الحرب خيراً من شأنهم معه في السلم . وآيات عفوه واحتماله وتجاوزه ﷺ لا يكاد يأخذها الإحصاء . عن عائشة رضي الله تعالى عنها قال : ما رأيت رسول الله ﷺ متصرراً من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حرمة من محارم الله تعالى وما ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد ، وما ضرب خادماً ولا امرأة . وجيء إليه برجل فقيل له : إن هذا أراد أن يقتلك ، فقال النبي ﷺ : "لن تراع ، لن تراع" (٥*) .

وروي أن غويرث بن الحارث التمسمى ﷺ في إحدى غزواته ،

(٤) عن شداد بن أوس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : "إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتكم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وليرد أحدكم شفرته وليرج ذبيحته" أخرجه مسلم والترمذني .

مسلم في الصيد رقم/ ١٩٥٥ باب الأمر بالإحسان بالذبح والقتل ، والترمذني رقم/ ١٤٠٩ في الديات باب ما جاء في النهي عن المثلة .

(٥) جاء في كتاب "هذا الحبيب يا محب" تحت عنوان العفو الحمدى : جاءه رجل يريد قتله بالسيف فاكتشف أمره وظهرت حاله ، فقال له أصحابه : إن هذا جاء يريد قتلك فاضطررت الرجل من شدة الخوف والفزع فقال ﷺ .

"لن تراع ، لن تراع ولو أردت ذلك - أي قتلي - لم تسلط علي" لأن الله أعلم بعصمته له من الناس فمضى عنه ﷺ ، وقد أراد قتله فلم يؤاخذه بل لم يعاقبه فصلى الله عليه وآلـه وصحبـه وسنـم تسـليمـاً ثـيرـاً (هـذاـ الحـبـيبـ مـحـمـدـ يـاـ مـحـبـ ،ـ أـبـوـ بـكـرـ الجزائـريـ ،ـ مـكـتبـةـ الـعـلـومـ وـالـحـكـمـ ،ـ الـمـدـيـنـةـ الـمـنـورـةـ ،ـ ١٤٢٥ـ هـ -ـ ٢٠٠٥ـ) .

فإذا هو قائل تحت شجرة ولم يتبه النبي ﷺ إلا وهو قائم والسيف مسلول بيده فقل غويرث : من يمنعك مني ؟ فقل ﷺ : "الله" . فسقط السيوف من يده فأنحنه ﷺ وقل : "من يمنعك مني ؟" ، فقل : كن خير آخذه فتركه وعفا عنه فذهب الرجل إلى قومه يقول : جئتكم من عند خير الناس (*).

جئتكم من عند خير الناس (*). يوم فتح مكة يوم أظهره الله على قريش وناهيك بما فعل ﷺ كل هذا كان أبلغ مثل لأصحابه رضوان الله عليهم في الوفاء بالذم والتجاوز عن ظلم ورد النفس عن الجري مع شهواتها في حب التشفى والانتقام .

(يتبع)

(*) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه غزا مع رسول الله ﷺ قبل نجد فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معه فأدركهم القائلة في واد كثیر العضة (نوع من شجر البدایة فيه شوك) فنزل رسول الله ﷺ وتفرق الناس يستظلون بالشجر فنزل رسول الله ﷺ تحت سمرة فعلق بها سيفه ونمتا نومه فإذا رسول الله ﷺ يدعونا ، وإذا عنده أعرابي فقل : "هذا اخترط على سيفي وأنا نائم ، فاستيقظت وهو في يده صلقاً فقل : من يمنعك مني ؟ فقلت : الله - ثالثاً - ولم يعاقبه وجلس" واسم الأعرابي غورث بن الحارث .

رواية البخاري ٣٢٩، ٣٢٨ في المغازي باب غزوة ذات الرقاع ، ومسلم رقم ٤٦١ في صلاة المسافرين ، باب صلاة الخوف .

من معانى القرآن — باقلام الشباب :

مفردات القرآن للعلامة السيد سليمان الندوى (١٨٨٤-١٩٥٣م)

بقلم : الأخ الأستاذ محمد فرمان الندوى

تصريحات قديمة وحديثة بالصابئ :

إن مؤرخاً مسيحياً للقرن السادس الميلادي يقول بكل ثقة : ديانة الصابئين وديانة الكلدانين القديمة ، والقطب الشمالي قبلتهم ، وهم يصلون ثلاثة أوقات ، الأول : من لدن طلوع الشمس بنصف ساعة حتى طلوعها ثانية ركعات ، الثاني : زوال الشمس ، الثالث : ثلاثة صيام متتابعاً ، من ثامن مارس إلى العاشر منه ، وتسعة صيام في ديسمبر ، ثم سبعة صيام من ٨ فبراير ، إنهم يبعدون النجوم ، ويقدمون القرابين لكن لا يأكلونها بل يحرقونها ، وبشبئه كلامهم كلام الحكماء ، ومسائل التوحيد كلها موثقة عندهم ، لا يأكلون شيئاً من الثوم والفول الهندي والكرنب والعدس .

اطلعت أوربا المعاصرة على أحوال هذه الفرق بسان سائح أوربي ، زار العراق ، ثم قرأتها في كتب المؤلفين المسلمين ، نذكرها موجزاً فيما يلي :

الصابئون يسمون أنفسهم "ماندين" ، يوجد عمرانهم في خوزستان والبصرة على ساحل الفرات ، ومعنى كلمة "ماند" في لغتهم : العلم ، أما لغتهم الدارجة فهي الفارسية والعربية ، لكن لغتهم الدينية تشبه اللغة الآرامية ، وخطهم يشبه الخط التدمرى القديم (فالمائرون) ، ففي هذا الخط واللغة توجد عددهم صحيفه دينية ، بعض أجزاءها قديم ، وبعضها مقتبس من الكتابات القديمة ، يسمى أطول أجزاءها سدراب (معناه : الكتاب المقدس العظيم) ، ويطلق عليه اسم "كنز" معناه : الثروة ، ولها جزءان ما بين صغير وكبير ، سمي الأول باليمين ، والثاني بالشمال ، الأول للحياة والثاني الأدعية لتجهيز الموتى وتدفنهم من أصحاب المناصب المتنبئين ، والباب الآخر لليمين كتاب الملوك ، ذكر فيه الملوك العرب والإيرانيون ، تتأكد منهم أن هذا الجزء كان ما بين القرنين السابع والتاسع ، أما التقاليد الدينية فهي أقدم وجوداً يعني يُرى عليه أثر عهد الساسانيين .

نظرة عجلی على عقائد الصابئین وأصول دینهم تکشف لنا أن هذی الدین کان مجموع عبادة النجوم لأقدم دیانات کلدان ، وفرقہ ناستک لليونان ، ومسئلة التور والظلمة لإیران .

بالنظر إلى الآراء المتضاربة نستطيع أن نقول : إن دراسات المؤلفین

العربية، ومنها الاصطياغ، معناها: الاغتسال والاستحمام، وتطلق في الاصطلاح على: بيتسمه (Baptism) ذاك أن هذه الفرقة كانت تغتسل في اليوم عدة مرات، فسميت في اللغة الأرامية صابئة، واستعملت من هذا الاستيقن باللغة العربية (٢)، وهناك شرح أخف لفظاً وأخر معنى من الأول: الكلمة صبا كانت تستعمل في اللغات السامية في معنى النجوم عامة، وفي العبرانية يعني جماعة عباد النجوم (٣) وفي العربية تأتي في معنى طلوع النجوم وغروبها (٤)، وقد أخرج البيضاوي استيقن الصابي من هذا اللفظ (٥).

ملاحظة هامة :

استعمل الأعداء للمناوين الكلمة الصابئين أول مرة، وما يقضى منه العجب أن الخلافة العباسية لما انتقلت إلى العراق سمى الصابئون أنفسهم في عهد الخليفة مامون بهذا اللقب بكل فخر واعتزاز، فإنهم قد عرفوا اللغة اليونانية وفلسفتها، وتقلدوا مناصب عالية في الخلافة العباسية، ونشأ فيهم أدباء بارزون للعربية والأدب، وظنا منهم أنهم أهل كتاب جددوا دينهم بأنه أقرب إلى الإسلام، نظراً إلى هذا ذكر بعض علماء الإسلام عقائدهم وأساليب عبادتهم أقرب إلى الإسلام، ثم انحدر النصارى حيث ظنوا أن بعض عادات وعبادات الإسلام مقتبسة من الصابئين (٦) غير أن هذا خطأ فالحش، ولما يسرنا أن هؤلاء المتشككين قد تبين لهم خطأهم (٧).

الدين الصابئ في ضوء القرآن :

جاء ذكر الدين الصابئ في القرآن الكريم في ثلاث سور: البقرة، المائدة، الحج، ولم يأت تفصيلها سوى الاسم، وقد علمنا أن دينهم البدائي كان عبارة عن عبادة النجوم وأرواحها وتماثيلها مع الإقرار بواحدانية الله عز وجل فليس من الصعب أن نسلم أن ما قال القرآن في رد هذه العقائد خوطبوا به، وقد جاء في القرآن أن إبراهيم عليه السلام قد بعث بائعاً بدماء هداية الصابئين وإصلاحهم، وقد صرحت التوراة بأن إبراهيم كان ينتمي إلى مدينة العراق "أر" و "حران" وكانت أسرته تسجد لغير الله، يقول القرآن مخاطباً عباد

(٢) مقدمة ترجمة القرآن لسيل.

(٣) لسان العرب: ملة صبا.

(٤) مفاتيح العلوم للخوارزمي طبع أوربا ص/ ٣٦١، وكتاب الفهرست لابن نديم.

(٥) التفسير للبيضاوي ج/ ١ ص/ ٧٩، قال المؤلف: الصابئون قم بين النصارى والجوس، وقيل: هم عبدة الملائكة، وهو إن كان عربياً فمن صبا إذا خرج.

(٦) سورس آف القرأن سروليم ميور.

(٧) إنسائي كلر بيديا برتاينكا كلمة: صابئين "دى لتريري هستري آف برشيا، صنفه براون ج/ ١ ص/ ٣٨٤.

المسلمين القدماء، والاكتشافات الجديدة وجهان لصورة واحدة، أما ما قال من العلامة التقديرين مجاهد، وقتادة، وحسن البصري، وابن نديم، ومن المتأخرين العلامة ابن تيمية رحمه الله، موثق بالتحقيق العلمي، يرى أن أصل دياتهم كانت كلدانية، لأن عبادة النجوم البابلية الأسماء قد توجد فيها، لكن قد استظلوا في عهد حكومة إيران بازاحة الآخرين، فأثارت عصر الفلسفه اليونانيين، فإنهما قد احتلوا خلق العالم وتدبر الكون ليس إلا فيما فلسفه ناستك، الواقع أن أكثر مباحث خلق العالم وتدبر الإثبات من رشحات هذه الفلسفه، إن أسماء الأنبياء بني إسرائيل من ناحية الإثبات والإنكار من آثار اليهودية، وخاصة ذيوع شهرة سيدنا آدم ونوح وشيث فيهم يكفي لصحة الدعوى، وبعض المؤرخين قد نسبوها إلى أمة شيث، لكن تصوّر يتبسمه وروح القدس والكلمة، تسرّب إليهم من المسيحيين.

ما يبعث الجميع على الاستغراب والمحيرة نحو هذه الديانة أن أتباعها يحملون مخالفة شديدة وعناداً قليلاً لإبراهيم والأنبياء الآخرين من ذريته، وهذا الاستعجب يرشدنا إلى نكتة مهمة، وهي أننا كما علمنا عن إبراهيم أنه ولد في مدينة بابل "أر"، وكان منشأه حران، وهذا من الأمكنة التي تعد مراكز ومدارس للصابئين، فلا بد من اللازم أن تكون دعاوى المفسرين التقديرين ولا سيما ابن تيمية رحمه الله صحيحة، وهي أن هؤلاء هم الأشقياء الذين نشأ منهم إبراهيم، فمنعهم من عبادة النجوم، كأسراً أصنامهم وتماثيلهم، لكن - يا للأسف - إنهم صاروا أعداء له بدلاً من أن يكونوا له أنصاراً، فهذه العداوة قد ورثت هذه الفرقه، ولا نعلم منذ كم مدة رسخت فيهم كعقيدة، ولعل هذا هو السبب فيما إذا كانت الكلمة الصابئ تستعمل في العرب (أكبر فرع لنذرية إبراهيم) في معنى المرتد، والفالسق والملحد، ففي بداية الإسلام وصف المسلمين بهذا الوصف (١).

وفيما نقرأ بهذه المناسبة قول الله تعالى يتضح لنا تفسيره: «قدْ كَانَ لَكُمْ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بِرَءَاءٍ مِّنْكُمْ وَمِمَّ تَبْعَدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبِدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبْدَأَ حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ» (المتحنة الآية/٤).

شرح لغوي لكلمة صابئ: قيل: صبا صياغة عبرية لكلمة آرامية: "صبع" وتماثل صبغ باللغة

(١) الجامع الصحيح للبخاري كتاب المغازي، باب ذكر النبي ﷺ من يقتل بدر، رقم الحديث/ ٣٩٥٠. قال أبو جهل لأبي صفوان: لا أراك تطوف بمكة آمناً وقد أويتم الصبة وزعمتم أنكم تتصرفون بهم وتعينونهم.

هذه الأشياء وعبوديتها وخضوعها لأمر الله ، فتصوروا أن الله عز وجل يشير في الآيات المذكورة أدناه إلى إبطال عقيدة عبادة الكواكب : **﴿وَالشَّمْسُ وَضَحَاهَا • وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَاهَا﴾** (الشمس الآية/٢-١) **﴿وَالسَّمَاءُ وَالظَّارِقُ • وَمَا أَدْرَاكَ مَا الظَّارِقُ * النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾** (الطارق الآية/٣-١) يقول المفسرون : النجم الثاقب : زحل ، قوله الله عز وجل : **﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هُوَ﴾** (النجم الآية/١) النجم : الثريا الخاصة ، والمراد بسقوطه : ذهابها تحت أفق الرؤية ، وهذا عالم بدأة الموسم لدى العرب ، قوله الله : **﴿وَالْقَمَرُ إِذَا اتَّسَقَ﴾** (الانشقاق الآية/١٨) ، قوله : **﴿فَلَا أَقْسِمُ بِالْخَنْسِ * الْجَوَارِيِّ الْكُنْسِ﴾** (التكوير الآية/١٥-١٦) أجمع جهور المفسرين الماهرين على أن المراد بها : السبع السيارة .

هناك فرق بين عباد الكواكب والصابئين ، فعبد الكواكب يعتقدون الكواكب إلهًا ، وأما الصابئون فإنهم يقررون بوحدانية الله ، لكنهم يعظمون الكواكب ويعبدونها ، ظناً منها مظهراً للإله الحقيقي ، وهذا ما أشار إليه القرآن في آيات مختلفة **﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنَّجْمُ﴾** (الحج الآية/١٨) **﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقُوكُمْ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾** (آل عمران الآية/٣٧) **﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلُّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمٍّ وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾** (لقمان الآية/٢٩-٣٠) .

وهناك دليل ثالث لعظمة الشمس والقمر بغض النظر عن العلو والرفة وهو النور ، قوله الله عز وجل : **﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضَيْلَةً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾** (يوحنا الآية/٥) وجاء في سورة نوح : **﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾** (نوح الآية/١٦) ، وقد وردت في القرآن آيات التسخير الإلهي للشمس والقمر ، أما سورة الرعد والملائكة والزمر والعنكبوت وإبراهيم فقد جاء فيها ذكره بوجه خاص ، يظهر من هذا التكرار أن تقليد عبادة الشمس والقمر كم كان عاماً في العرب ، وكان الصابئون يتميزون بعبادة الملائكة والأرواح ، يقول الله عز وجل **﴿يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهُؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ * قَالُوا سَبَحَانَكَ أَنْتَ وَلَيْسَ مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثُرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾** (سبا الآية/٤٠-٤١) (١١) .

(١١) تاريخ أرض القرآن ج ٢ / ص ١٥٧ - ١٦٦ ، بتلخيص يسر ، طبع دار المصطفين ديسمبر ٢٠٠٣ م.

التماثيل الصابئين بيسان إبراهيم : **﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا أَلِهَةً﴾** (الأنعام الآية/٧٥) .
﴿أَتَتَّخِذُ التَّمَاثِيلَ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ (الأنبياء الآية/٥٢) .
﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مَا خَلَقْتُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الصفات الآية/٩٥-٩٦) .
﴿أَتَتَّعْبُدُونَ مَا تَشْجُنُونَ وَاللَّهُ أَوْنَانٌ وَتَخْلُقُونَ إِنْكَارًا﴾ (العنكبوت الآية/١٧) .
﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْنَانٌ وَتَخْلُقُونَ إِنْكَارًا﴾ (مريم الآية/٤٤) .

وأوضح دليل على هذا ما حاوره إبراهيم عليه السلام في رفض عقيدة عبادة الكواكب .

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْأَفْلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازْغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لِأَكُونَنِ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازْغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ يَا قَوْمِي إِنِّي بِرَبِّي مِمَّا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام الآية/٧٦-٧٩) .

يبت من الجزء الأخير للآية المذكورة أعلاه أن الصابئين ما كانوا ينكرون الله ، بل كانوا يشركون الآلة الآخر في الألوهية ، وقد ذكرت أثناء شرح الدين البابلي أن هذه الآية : **﴿فَنَظَرَ نَظَرَةً فِي النَّجْمِ﴾** (الصفات الآية/٨٨) تشير إلى عبادة الكواكب .

حيثما ذكر القرآن الحالة الدينية للعرب العدنانيين أخبر هناك أن كل قبيلة تخص بنجم وقت نزول القرآن وتبعله ، وكان العرب قد نسبوا جميع أعمال الدنيا الطبيعية إلى طلوع هذه الكواكب وغروبها (٨) وكانت يعتقدون أن كوكباً من كواكب ثانية وعشرين لمنازل القمر إذا غرب طلع نجم آخر ، وإذا لم يطلع يبقى عمله (٩) ، وهذا يسمى في الاصطلاح بالنوء ، وقد ورد في الجامع الصحيح للإمام البخاري أن رسول الله ﷺ قال ذات مرة : فأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا ، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب (١٠) ، وجاء في الجامع الصحيح للإمام مسلم أن آية : **﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النَّجْمِ﴾** (الواقعة الآية/١٥) وردت في رد هذه العقيلة ، وقد قال المفسرون الباحثون : إن ما أقسم الله بهذه الأشياء في القرآن الكريم يراد به أنها شاملة على وجود الله وقدرته وكمال خلقه ، وضعف

(٨) كتاب الأزمنة والأمكنة للإمام المرزوقي ، طبع حيدر آباد ج ١ / ص ١٧٨ .

(٩) فتح الباري ج ١ / ص ٣٣٤ نقلًا من كتاب الأنوار لابن قتيبة .

(١٠) الجامع الصحيح للبخاري (٨٤٦، ١٠٣٨، ٤١٤٧، ٧٥٠٣) .

قسطاً من الراحة ، وما هي إلا ملة قليلة ، إذ توجهنا إلى بشير باغ في مقر "بريس كلب" (نادي الصحافة) حيث عقدت ندوة حوار بين زعماء الديانات والدين الإسلامي حول : "قتل جنس الأنثى في رحم الأم" واستمرت الندوة إلى أكثر من ساعتين ، أسمهم الناس فيها وأبدوا فيها أفكارهم حول الموضوع ، وهناك تم افتتاح كتاب "نجيب محفوظ في ميزان النقد" للأستاذ الدكتور محسن العثماني الندوي (رئيس القسم العربي في جامعة تدريس اللغات الأجنبية واللغة العربية "أفل") كما تم افتتاح مجلة "أقلام وابعة" لرئيس تحريرها الأستاذ الدكتور محسن العثماني ، في الحفل .

ومع نهاية الندوة توجهنا إلى مبني المعهد العالي الإسلامي مع فضيلة الشيخ الرحماني ، وحضرنا الحفلة الخاصة بطلاب المعهد وأساتذته ، وألقينا كلمة مما تيسر أمام الحفل ، علق علينا فضيلة الشيخ خالد سيف الله الرحماني مؤسس هذا المعهد ورئيسه ، ثم توجهنا إلى "بيت الحمد" في شاهين ناغر ، وهو منزل فضيلة الشيخ الأستاذ خالد سيف الله الرحماني .

وفي اليوم التالي ٢٢ من شهر يونيو ٢٠٠٨م ، يوم الأحد ، كان من المقرر أن نزور دار العلوم الرحمانية بمنطقة "تالاب كته" على دعوة من مديرها المفتي غيث الدين الرحماني لزيارة المدرسة وتناول الإفطار ، بعد ظهير طلب منا إلقاء كلمة أمام الطلبة وحضرات المدرسين ، ولو لا الشعور بضيق الوقت ل كانت الحفلة طويلة ، ولكن كنا مسئولين عن الحضور في حفل توزيع الشهادات للفائزين من طلاب المعهد العالي الإسلامي في قاعة الاجتماعات في منطقة سعيد آباد ، في الساعة التاسعة والنصف صباحاً ، وقد امتد الحفل إلى الساعة الثانية والنصف ظهراً ، وبعد ذلك تواً توجهنا لتناول الغداء في جامعة عائشة في سعيد آباد ، وهنالك صلينا صلاة الظهر والعصر جمعاً ، ثم رجعنا إلى المقر ، وكانت الحلقة تدعونا إلى الاستراحة ، وقيل صلاة المغرب خرجنا من الفندق للتجلو في البلد وزيارة بعض المراكز التعليمية ، منها مركز تعليم القرآن الكريم لصاحبها الشيخ حيدر حي الدين الغوري ، وهنالك صلينا المغرب ، ورجعنا إلى الفندق في وقت متاخر من الليل ، لكي نقوم بالإعداد اللازم لسفر العودة إلى

زيارة المعهد العالي الإسلامي في حيدر آباد

قلم التحرير

جولة في مدارس الهند :
كانت لي رحلة إلى مدينة حيدر آباد (دكن) ، على دعوة كريمة من فضيلة الشيخ خالد سيف الله الرحماني مؤسس المعهد العالي الإسلامي للدراسات الفقهية والإسلامية للحضور في ندوة المعهد لتوزيع الشهادات والجوائز ، وللإسهام في نشاطات المعهد الأخرى ، كان ذلك بين ٢٠-٢٣ / ٢٣-٢٠ من شهر يونيو ٢٠٠٨م .

وصلنا إلى حيدر آباد ظهر يوم الجمعة ٢٠ من شهر يونيو ٢٠٠٨م ، وصلينا صلاة الجمعة مع فضيلة الشيخ الرحماني في مسجد حيدر غوره ، وتغدينا في فندق هرشا ، حيث نزلنا فيه ، وبعد ما أخذنا قسطاً من الاستراحة خرجنا مساءً من الفندق للقاء مع وجهاء البلد وافتتاح (Hadith Academy) مجمع الحديث ، وذلك في قاعة سر سيد بمركز المدينة للتعليم في "ناميبي" ، وكانت الحفلة مبعث تعارف إسلامي ، وكانت لي هناك كلمة حول الموضوع ، ثم تعشينا في وقت متاخر في منزل السيد المهندس إقبال أحد في منطقة "مهدي فتنم" .

وفي اليوم التالي ٢١ من شهر يونيو خرجنا صباحاً لتناول الإفطار في دار العلوم سبيل السلام على دعوة من الأخ العزيز الشيخ محمد نعمان بدر مدير دار العلوم سبيل السلام ، وبعد الإفطار توجهنا إلى قاعة المحاضرات ، وألقينا كلمة حول التعليم وال التربية أمام طلبة وأساتذة دار العلوم ، ومع انتهاء الحفل أتيانا إلى مقبرة فضيلة الشيخ محمد رضوان القاسمي رحمة الله ، الذي كان قد توفي نتيجة سكتة قلبية في العام الماضي ، فحالفنا التوفيق لدعاء الاستغفار ، ثم رجعنا إلى الفندق ، والتقيينا بحضور الزائرين القادمين في مقر الفندق ، ثم توجهنا إلى منزل فضيلة الشيخ عبد القدير المظاهري في منطقة "ملك بيت" على دعوة من أبناءه البررة عبد الرؤف وسفيان وسلام ، وكلهم من خريجي دار العلوم ندوة العلماء ، وبعد الغداء توجهنا إلى مدرسة الشيخ أبي الحسن لصاحبهاحافظ محمد معز الدين الندوي في منطقة قريبة من هذا المكان ، رجعنا إلى المقر وأخذنا

لكتاف في وقت مبكر جداً، والاستراحة بالليل حسب ما يتيسر.

كانت هذه الرحلة مبنية على دعوة مخلصة من داعية كريم مخلص، فقد استفدنا خلال ذلك الاجتماع من شخصيات دينية وتعلمية، ووفقنا لزيارة مراكز عدبية إسلامية تعليمية، ورأينا عن كثب ما قد يقوم به فضيلة الشيخ خالد سيف الله الرحمنى من أعمال تعليمية فقهية وإسلامية وإعداداً تاليفات جديدة حول المسائل والقضايا الفقهية الحديثة مما أنتجته الحضارات المادية في الحياة والمجتمع، كما أن مجهوداته المخلصة في تخريج أجيال من علماء الفقه الإسلامي الشاب البارعين، الذين يتميزون بالكتابات المفيدة وإعداد الكتب والمؤلفات في الفقه الإسلامي بإشراف فضيلة الشيخ خالد سيف الله الرحمنى، فإن مجهوداته المخلصة في هذا الجيل خاصة، وفي جميع المجالات الإسلامية ليتفوق كل ثناء، فقد لُقب بـ "فقيه العصر" أظل الله بقاءه ذخراً لخدمة الدين والعلوم الإسلامية ووفقه للتحقيق والدراسة في مناحي العلم والفقه والمعارف، والله ولـ

إذ أشكر له على هذه التكمة والدعوة المخلصة أتضرع إلى الله تعالى أن يوفقه للمزيد والمزيد.

وقد كان شرف اللقاء في هذه المناسبة مع شخصيات كبيرة للعلم والدين والثقافة، منهم فضيلة الشيخ حميد الدين عاقل حسامي، وفضيلة الشيخ مصطفى المفتاحي، والشيخ أحمد عبد المجيد القاسمي والشيخ عمر عابدين، والشيخ شاهد علي عباسي مدير الدائرة العثمانية، والدكتور إقبال نائب مدير جامعة مولانا آزاد للغة الأردية، والشيخ الفتى غيث الدين الرحmani مدير دار العلوم الرحمنية والشيخ عبد العزيز مدير المجلس العلمي لولاية آندراباد، والشيخ الفتى عبد اللودود القاسمي، والحاكمي الأستاذ عبد الرحيم قريشي والأستاذ الدكتور محمد معين الأعظمي الندوبي، رئيس القسم العربي في جامعة (أيفل) سابقاً، وقد دعانا فضيلة الشيخ الأستاذ محمد نعمان الدين الندوبي إلى مأدبة عشاء في مقره مشكوراً، وذلك بجوار دار العلوم حيدر آباد حيث التقينا الشيخ رحيم الدين الانصارى نائب مدير دار العلوم حيدر آباد، وكان ذلك في اليوم الأخير من هذه الرحلة.

إلى رحمة الله تعالى :

فضيلة الحاج الحافظ محمد إقبال في ذمة الله تعالى

قلم التحرير

استأثرت رحمة الله تعالى بفضيلة الحاج الحافظ محمد إقبال، رئيس قسم تحفيظ القرآن الكريم بدار العلوم ندوة العلماء سابقاً، ومدير المدرسة الفرقانية في مدينة غونده، بولاية أترابراديش حالياً - قبل وفاته - وذلك إثر مرض مزمن من الشلل في الرجل، وقد ظل طريق الفراش إلى مدة فما كان يقدر على أن ينتقل من مكان إلا "بالعربية" وقد لبى نداء ربه ظهراً يوم الأربعاء ٣٠ من شهر يوليو عام ٢٠٠٨ المصادف ٢٦/٢٦ رجب عام ١٤٢٩هـ، بالغاً من العمر ٩٧ عاماً، فإن الله وإنما إليه راجعون.

لقد كان الراحل الكريم من كبار حفظة كتاب الله ومدرسيه، طارت شهرته في ذلك إلى آفاق بعيدة في البلاد وخارجها، إذ تلمذ عليه كثير من طلاب آسيا وإفريقيا وبريطانيا، عدا طلبة المناطق الداخلية.

ومن مآثره أنه كان سبباً لافتتاح قسم تحفيظ القرآن الكريم في دار العلوم ندوة العلماء، وقد تطور هذا القسم وازدهر بتركيز مجهوداته عليه، وتربيه الطلاب والمعلمين على خلال كرمته من الإخلاص والتورع والالتزام بآداب التلاوة والحفظ، والمواظبة على أوقات الصلوات، وقراءة القرآن الكريم في التوافل وقيام الليل، فقد كان بنفسه على مكانة عالية من الصلاح والورع والإخلاص وكان يعيش بغایة من السذاجة والقناعة، وبروح من الشكر والحمد لله على ما أكرم به من الخصائص الدينية ما يقل نظيره في مجتمعنا اليوم، وذلك هو السبب فيما إذا كان قسم تحفيظ القرآن الكريم بدار العلوم غوذجاً للمدارس الإسلامية الكبرى، ومتميزاً من ناحية التعليم والتربية.

بعد ما قضى وقتاً طيباً وملة تتجاوز عشرين عاماً في دار العلوم ندوة العلماء ونجح في تخريج أجيال من حفظة القرآن الكريم وبجوده، ألحائه الظروف إلى تفویض إدارة هذا القسم إلى بعض تلاميذه النابهين، والعودة إلى مركزه الأول عبر إلحاح أعضاء المدرسة الفرقانية في غونده كمدير لهذه المدرسة، والحمد لله وقد تحسنت المدرسة وتطورت مع برنامجه هناك وتسلم إدارتها.

وكان الراحل البخليل مثالاً في الصلاح والتقوى، وفي الشعور بالمسؤولية وأدائها بدقة وأمانة، وبروح من الاحتساب والتوكل راجياً من الله تعالى مثوبة

يوم الجزاء . « ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرًا عظيمًا »
تملأه الله تعالى بواسع رحمته وغفر له زلاته وأكرم نزله في جنات
ونعيم ، وألم أهله وذويه الصبر والسلوان ، « والله ولهم المتقين » .

الشيخ عبد الله أحمد الفرحان (الكويت) في ذمة الله تعالى
لقد كان يوم الأحد ، لعشرين من شهر يوليو عام ٢٠٠٨ الموافق ١٦/٩ من

رجب ١٤٢٩هـ يوم حزن وهم وأسىًّا بالغ لمعالي الدكتور الشيخ الجليل والعالم الكبير راشد عبد الله الفرحان ، وزير الأوقاف الأسبق لدولة الكويت ، وقد تلقينا هذا النبأ الحزن بأسف وألم ، فقد كان الراحل الكريم مريضاً طريح

الفرش منذ عام وكان قد تجاوزت سنه مائة عام ، فإن الله وإنما إليه راجعون .

كان الراحل الكريم من أبناء الكويت القدامى من كانوا يقومون بالتجارة عبر السفن الشراعية بين الهند والكويت ، وكان لهم إسهام في تنشيط التجارة البحرية رغم ما فيها من مغامرات للأموال والأرواح ، ولذلك قدموا مثلاً جيلاً لهذه التجارة التي تقلدها الآخرون .

كان من رواد الضيافة والكرم والساخاء ، فقد كان يرحب بالضيوف ويتوى حاجاتهم من الاقامة والقرى ، ويفرح بهم وكأنه ينشد بلسان حاله :
لحادي لحادي الضيف والبيت بيته

ولم يلهي عنه غزال مقنع وقد بلغ من الطموح وعلو المهمة أنه لم يترك فرصة من فرص العلم والثقافة إلا وقد انتهزها لأبنائه وجيرانه ، ولو لا هذا الواقع لما بعث نجله الكبير معالي الشيخ راشد الفرحان إلى خارج الكويت ليتلقي كل نوع من العلم ويتنتفق بالثقافة الإسلامية ، ويؤلف كتبًا قيمة في الفقه والتفسير والأدب ويختار وزير الأوقاف والشئون الإسلامية - بدولة الكويت .

تملأه الله بواسع رحمته وغفر له زلاته وقصوراته ويكرمه نزله بالجنات والنعيم .

ونحن إذ نرفع كلمات العزاء إلى جميع أعضاء أسرته وأنجاله الكرام نضرع إلى الله تعالى أن يلهمهم الصبر على المصاب ويكرمنهم بالثلوبة الكريمة عاجلاً وأجلاء .

« يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعي إلى ربك راضية مرضية *
فادخلني في عبادي * وادخلني جنتي ». *

الدكتور وصي رحاني إلى رحمة الله تعالى

ارتخل إلى رحمة الله تعالى الدكتور وصي رحاني نجل العلامة الشيخ منة الله الرحاني رحمة الله أمير الشريعة لولاية بهار وأربسه وجار خند (الهند) والأمين العام هيئة قانون الأحوال الشخصية لسلمي الهند ، سابقاً ، وذلك بعد مرض مفاجئ ، وتوفي في ٢٤ من شهر يوليو ٢٠٠٨م ، الموافق ٢٠ من شهر شعبان عام ١٤٢٩هـ يوم الخميس ، عن عمر يناهز سبعين عاماً ، فإن الله وإنما إليه راجعون .

لقد كان الراحل الكريم شقيق فضيلة الشيخ محمد ولد رحاني شيخ الجامعية الرحانية في مونغيرة بولاية بهار ، وكان يعيش هو مع عائلته في مدينة بنته عاصمة ولاية بهار ، حيث كان يمارس مهنة الطب ، فقد كان أوتي مهارة فائقة في شؤون معلبة المرضى وعلاج الأمراض .

وكان محبياً مقبولاً بين الناس بأخلاقه الفاضلة ، ومعاملته الطيبة ، كيف لا وقد كان مقتضايا آثار آباءه السادة الكبار ، وتربي في أحضانهم ورعايتهم ، لقد كان جده العلامة الشيخ السيد محمد علي المنجيري مؤسس ندوة العلماء في الهند ، إنه قاد الأمة إلى طريق وسط ومنهج عدل بما آتاه الله تعالى من علم جم ونظرة فلخصة دقيقة وبما رزق من فكر حصيف ، وعزيم وحزم ، ورؤى إلى المستقبل بعيدة ، رحمة الله تعالى .

ونحن إذ نعزي فضيلة الشيخ السيد ولد رحاني وأعضاء الأسرة كلهم نتوجه إلى الله تعالى بأن يتغمده بواسع رحمته ، وغفر له زلاته ويكرمه بلطفة والنعيم ويلهم الجميع الصبر والسلوان .

رحيل فضيلة الشيخ عبد الله السنديلوى إلى رحمة الله تعالى
الراحل الكريم فضيلة الشيخ عبد الله السنديلوى كان شقيق سعادة الأستاذ الدكتور محمد اجتباء الندوى الذي سبق أخيه في اللحوق بالرفيق الأعلى بأسبوعين فقط ، ذلك أنه توفي يوم ٧ من شهر يوليو لعام ٢٠٠٨م ، المصادف ٣ من شهر رجب عام ١٤٢٩هـ ، إنه أصبح سكنته دماغية قبل الوفاة بعدة أيام ، وما زال في حالة الإغماء ، وقام الأطباء الكبار بعلاجه ولكنه لم يكتب له الشفاء والبرء من المرض ، فإن الله وإنما إليه راجعون .

كان الراحل الكريم من مواليد ١٩٢٧م في قرية مجوа مديرية بستي لولاية اتراباديش الهند ومن أسرة السادة الذين صاحبوا الإمام أحمد بن عرفان في جهاده ضد القوى الbagية من الشيخ والأفغان ، وجاهد معه جهاداً طويلاً .

الراحل الكريم كان قد قضى وقته في خدمة العالم الرباني الكبير

الشيخ ابرار الحق حقي رحمه الله ، ولازمه إلى ملة وكان يدرس في إحدى مدارس الشيخ الجليل في بلدة "سنديله" وكان ذا ورع وصلاح وإخلاص ، يتمتع بسلفية خاصة في تربية الأولاد والطلاب ، وقد رضي بحياة القناعة والكفاف ، ذا صلة ملخصة بربه تعالى وعباده من العلماء الربانين المخلصين ، كانت وفاته خسارة في مجال التعليم والتربية والإخلاص والدعوة إلى الله تعالى .
تغمده الله بواسع رحمته وغفر له زلاته وأسكنه فسيح جناته ويلهم أهله ذوي الصبر الجميل والثقة بالوعد «وكأنَّ وَعْدَ اللَّهِ مَقْعُولاً» .

الشيخ الحافظ يعقوب في ذمة الله تعالى

انتقل إلى رحمة الله تعالى الشيخ الحافظ يعقوب مؤسس المدرسة الحمدية العربية الإسلامية بمنطقة سودها وادي مديرية جام ناغر بولاية غجرات ، يوم الاثنين المصادف ١٠ من شهر رجب ١٤٢٩هـ - ١٤ من شهر يوليو ٢٠٠٨م بالغاً من العمر ٥٥ عاماً ، فإنما الله وإنما إليه راجعون .
لقد كان الراحل من ذوي الاهتمام بالتعليم الإسلامي والتربية الدينية ، وقد قضى معظم حياته في خدمة المدرسة الحمدية التي أنشأها لتحقيق أغراض التعليم والدعوة ، وتصحيح العقيلة في منطقة بعيدة عن التعاليم الإسلامية وعائشة البدع والخرافات .

جزاه الله تعالى عما قام به من خدمة جليلة في مجال التعليم ، ونشر العلم والتوجيه الديني وإصلاح الفساد من كل نوع عن طريق مدرسته التي أنشأها .

رحمه الله تعالى رحمة واسعة ، وغفر له تقصيراته وزلاته وأسكنه فسيح جناته وألمه ذويه وإخوانه الصبر والسلوة وجعل له خلفاً صالحاً يكمل ما بقي من أعماله ، والله ولي التوفيق .

الحاج محمد زمان بن خدا بخش في ذمة الله تعالى

في اليوم الخامس والعشرين من شهر يوليو عام ٢٠٠٨م الموافق يوم الجمعة ٢١ من شهر رجب ١٤٢٩هـ انتقل إلى رحمة الله تعالى الحاج محمد زمان بن خدا بخش ، من سكان نصير آباد بمنطقة "بوربي حاجي خوشحال" عقب مرض خفيف ألم به من الحمى والزكام ، وقد يبلغ من العمر ٧٨ عاماً ، وكان ذا علاقة من قديم بالسادة الحسينية الكرام ومباععاً سلحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسيني الندوي رحمه الله ، وقد صلى عليه سعادة الأستاذ الكبير العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسيني الندوي .

كان الراحل الكريم شقيق الحاج عبد الرزاق الذي أكرمه الله تعالى بخدمة سماته طول حياته ولا يزال ذا علاقة قوية بأعضاء أسرته ، وخاصة يلازم سعادة الشيخ العلامة محمد الرابع الحسيني الندوي رئيس ندوة العلماء ، أما شقيق الراحل الكبير فهو الحاج رسول أحمد ، وقد لازم هو أسرته في جماعة الدعوة والتبلیغ إلى مدة في الرحلات الدعوية ، وأسسوا المسجد في مناطق مجاورة لإقامة الصلاة والجمعة والعيدين .

رحمه الله رحمة واسعة ، وغفر له مغفرة كاملة وأسكنه جنات الخلد وألمه أهله وذويه الصبر الجميل .

والدة السيد كفيل أشرف بجوار رحمة الله تعالى

استأثرت رحمة الله تعالى بوالدة الشيخ السيد كفيل أشرف ، أحد الدعاة المعروفين بأعماله الدعوية في مدينة لكهنؤ ، وقد كان لوالدته فضل كبير في تربيته وإبرازه في مجال التعليم والتربية ، والدعوة وقمع البدع والخرافات ، توفيت الراحلة الكريمة في ٢٤ من شهر رجب عام ١٤٢٩هـ - المصادف ٢٨ من شهر يوليو عام ٢٠٠٨م ويوم الاثنين ، باللغة من العمر ما بين ٧٥ و ٨٠ عاماً .
تغمدها الله بواسع رحمته وغفر لها زلاتها وأكرمتها بالجنات والنعيم وألم نجلها الكريم الشيخ كفيل أشرف وبجميع أعضاء أسرتها الصبر الجميل .

الأخ فخر الحسن في ذمة الله تعالى

انتقل إلى رحمة الله تعالى الأخ العزيز فخر الحسن بن محمد شعبان رحمه الله ، كانت وفاته فجاءة بسكتة قلبية ، من غير مرض مسبق ، وذلك في ٢٣ من شهر يوليو ٢٠٠٨م ، يوم الأربعاء الموافق ١٩ / رجب ١٤٢٩هـ ، فإنما الله وإنما إليه راجعون .

الراحل الكريم العزيز شقيق الأستاذ بركة الله الندوي المؤذف في الأمانة الأولى في مكتب الأمين العام ، وكان لم يبلغ من العمر إلا ٤٨ عاماً ، وهو من سكان "دهورهورا" بمديرية سدهارتة ناغر .

خلف وراءه خمس بنين ، وابنين .

رحمه الله رحمة واسعة ، وغفر له زلاته ، وأسكنه فسيح جناته ، وألمه أهله وذويه الصبر الجميل .

الحاج حافظ مظهر الحق إلى رحمة الله تعالى

توفي والد الأخ الفاضل الشيخ ظهير أحد الندوي ، وهو الحاج حافظ مظهر الحق من أهل سرا غوفال كنج ، بولاية بهار ، يوم الأحد ٦ من شهر يوليو

رسالة أخوية مهمة

حفظه الله تعالى للإسلام

حضره الأخ القارئ الكريم !

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فاتمنى على الله سبحانه أن تكونوا في خير وعافية وصحة جيدة ،
نشكركم على ما تتبعونه من قراءة : **البعث الإسلامي** ، وهي مجلتكم
ومجلة كل محب للصحافة الإسلامية الهداف ، تصدر من ٥٣ / عاماً بالاستمرار ،
وهي تجتاز الآن عامها الرابع والخمسين - والحمد لله على ذلك ، ونرجو الله سبحانه
أن يوفر ل تمامه جميع الوسائل الازمة ، و يجعل التوفيق حليف العمل والعاملين .

لا يخفى عليكم أن المجلة إنما تصدر في ظروف قاسية جداً ، وبتكلفة
باهظة ، وهي ب أمس حاجة إلى تعاون كريم منكم ، وذلك بتقديم دعم علمي
وصحفي منكم ، و بذلك شيئاً من الاهتمام بتوسيعة نطاق مشتركين جدد من جملة
أهلكم وأصدقائكم ، لكم من الشكر الجزيل ومن الله تعالى حسن القبول .

أرجو التكرم بتحويل أي تبرع أو اشتراك للمجلة بواسطة شيك
من أحد البنوك ، باسم : **(ALBAAS-EL-ISLAMI)** .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم المخلص

سعير الأعنفي (النروي)

رئيس تحرير مجلة "البعث الإسلامي"

ص.ب ٩٣ - مؤسسة الصحافة والنشر

نحوه العلماء - لكناو (الهند)

العنوان التالي :

مکتب : "البعث الإسلامي"

مؤسسة الصحافة والنشر

نحوه العلماء - ص.ب ٩٣

لagnaو (الهند)

والدة الأخ الأستاذ عبد الله الندوبي في ذمة الله تعالى

١٤٢٩ هـ ، فإننا لله وإننا إليه راجعون .

٢٠٠٨ م ، ٢/٢ من شهر رجب ١٤٢٩ هـ ، فإننا لله وإننا إليه راجعون .
كان الراحل الكريم بالغًا من العمر ٨٥ عاماً ، ومصاباً بالمرض ، حتى
دخل في أحد المستشفيات بمدينة "غورخفور" ، وقد نقل منها إلى قريته حيث
صلى عليه حشد من الناس .

تغمده الله بواسع رحمته ، وغفر له زلاته ، وأنقل ميزان حسناته ،

واسكه فسيح جناته ، وألمم أعضاء أسرته الصبر الجميل .

والدة الأخ الأستاذ عبد الله الندوبي في ذمة الله تعالى
انتقلت إلى رحمة الله والله الأخ الأستاذ عبد الله الندوبي في ٨ يوليو

٢٠٠٨ ، يوم الثلاثاء ، الموافق ٤/٩ من شهر رجب ١٤٢٩ هـ ، وكانت قد بلغت من

العمر ٩٠ عاماً ، فإننا لله وإننا إليه راجعون .

كانت الراحلة حلية فضيلة الشيخ كفایة الله البرتابكري ، وهو والد
الأستاذ عبد الله الندوبي ، الذي هو موظف في المطبخ القديم لدار العلوم ،

يعمل فيه كمشرف على شؤون المطبخ .

رفع الله درجاتها ، وغفر لها تقديراتها ، وأكرمتها بلحنات والنعيم ،
وألمم جميع أعضاء أسرتها بالصبر الجميل ، ووقفهم لدعاء المغفرة ، فإن الله غفور

رحيم .

الأخ الأستاذ محمد يسین بن محمد يعقوب في ذمة الله تعالى
أفادنا فضيلة الأستاذ إقبال أحمد الندوبي أستاذ الأدب العربي بكلية
اللغة العربية وأدابها بدار العلوم ندوة العلماء بوفاة مفاجئة لستيقنه الأستاذ
محمد يسین بن محمد يعقوب من بلدة بحري آباد مديرية غازي فور بالولاية
الشمالية للهند .

كان الراحل الكريم يعيش مع عائلته لأغراض تجارية في مدينة
"بيوندي" بولاية مهاراشترا الهند ، وكان صحيحاً سليماً فلجه الأجل من غير
مرض مسبق وذلك يوم الجمعة في ١١/٩ من شهر يوليو ٢٠٠٨ الموافق ٧ من شهر
رجب ١٤٢٩ هـ بالغاً من العمر ٦٠ عاماً ، فإننا لله وإننا إليه راجعون .

كان ذا صلاح وتقى يعيش في قناعة وكفاف مع أهله وبناته ، وكان
مهتماً بتزوجهما ، ولكن قدر الله كان مقدوراً .

ونحن إذ نعزي الأخ الكريم الأستاذ إقبال أحمد وأعضاء أسرته جميعاً
نتضرع إلى الله تعالى أن يتغمد الراحل الكريم بواسع رحمته ويفغر زلاته ويسكنه
فسيح جناته ، ويلهم أهله وأولاده الصبر الجميل ، والله المستعان على المصائب .